كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بدمياط الجديدة
المجلة العلمية
العدد (١٢) يونيو ٢٠٢٣م

الدراسات البينية وعلاقتها بالسنةالنبوية" دراســة تحليلية في التكامل المعرفي بين علوم الحديث والتفسير والفقه واللغة والتاريخ

الدكتور

الحارث محمد مصطفى إبراهيم

مدرس الحديث وعلومه

كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق

جامعة الأزهر

الملخص باللغة العربية والإنـجليزية

يهدف البحث إلى بيان أهمية الدراسات البينية المتعلقة بعلوم السنة النبوية وغيرها من التخصصات الأخرى، وإبراز هذه العلاقة، وبيان الحاجة إليها، ذلك أن الدراسات البينية تهدف إلى تحقيق التكامل بين العلوم والتخصصات المختلفة، مما يتيح فهما أعمق وأشمل وأدق للسنة النبوية في سياقات متعددة، وينتج عن ذلك توسيعٌ لمدارك المتعلم وفتحٌ لآفاق بحثية متنوعة، وتعزيز للثقة بالمعلومة، ومواكبة للمستجدات.

تناول البحث الدراسات البينية فعرّفها وذكر أقسامها وسماتها وأهميَّتها وعلاقتها بالسنة النبوية، ثم تكلم البحث عن علاقة السنة النبوية بغيرها من العلوم، والحاجة لذلك فتكلم عن علاقة السنة النبوية بالعلوم الشرعية، وذكر التكامل المعرفي والمنهجي بين علوم السنة وعلمي التفسير والفقه، ثم تكلم البحث عن علاقة السنة النبوية بغيرها من العلوم الإنسانية، وذكر التكامل المعرفي والمنهجي بين علوم السنة النبوية وعلمي اللغة والتاريخ.

وقد كان المنهج المتبع في البحث هو المنهج التحليلي، ثم جُعل للبحث خاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات، وقائمة للمصادر والمراجع، وفهرس البحث.

الكلمات المفتاحية: دراسات – بينية – سُنّة – تكامل – علاقة - معرفة

Research Summary:

The research aims to highlight the importance of interdisciplinary studies related to the sciences of the prophetic traditions and other specialisations, to showcase this relationship, and to demonstrate the need for it. Interdisciplinary studies strive to achieve integration between different sciences and specialisations, which allows for a deeper, broader, and more accurate understanding of the prophetic traditions in various contexts. This leads to an expansion of the learner's horizons, opening diverse research avenues, enhancing confidence in information, and keeping pace with new developments.

The research addressed interdisciplinary studies, defining them and mentioning their components, features, importance, and their relationship to the prophetic Sunnah. It then discussed the relationship of the prophetic Sunnah to other sciences, highlighting the necessity of this discussion, and examined the connection between the prophetic Sunnah and the religious sciences, noting the cognitive and methodological integration between the sciences of the Sunnah, interpretation, and jurisprudence. The research further explored the relationship of the prophetic Sunnah with other humanities, mentioning the cognitive and methodological integration between the sciences of the prophetic Sunnah and the sciences of language and history. The research methodology followed was analytical, and a conclusion was then provided that included the main findings and recommendations, as well as a list of sources and references, and scientific indices.

Keywords: Studies – Interdisciplinary – Sunnah – Integration – Relationship – Knowledge Main topics: Hadith and its sciences.

المقدمة

الحمدُ لله ربِ العالمينَ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد (ﷺ) وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،،،

فإن حاجة السنة النبوية لغيرها من العلوم المتعلقة بخدمتها حاجة ضرورية حتمية، وليست ترفا معرفيا، ذلك أن بعض هذه العلوم تتعلق بالإفادة الصحيحة من السنة تعلقا مباشرا.

إن التداخل والتكامل في العلوم الشرعية فيما بينها، وبين العلوم الأخرى المختلفة؛ كان من الخصائص المميّزة للعلوم في التراث العربي والإسلامي، وكان لهذا التكامل نتيجة علمية لا يمكن التنكر لها أو التغاضي عن آثارها الإيجابية[١].

ثم جاءت نشأة الجامعات الحديثة بنظمها المؤسسية والعلمية، فسعت إلى فصل العلوم عن بعضها، بغية التمكن من التخصص الواحد والتركيز على استيعابه، مع وجاهة هذا التوجه وإفادته، إلا أنه ظهرت في إِثْرِهِ سِلْبية خطيرة، وهي سلبية الإيغال في التخصص.

إن انفصال وتجزؤ واستقلال كل علم أو معرفة أو تخصص بذاته، وتقوقعه على نفسه وانعزاله؛ يؤدي إلى معارف منقوصة مشوهة، غير كافية، بل ربما يشيخ هذا التخصص ويجمد، ومن هنا **تبرز أهمية الدراسات البينية** التي يشترك فيها نوعان من العلوم أو المعرفة فأكثر، اشتراك يثري المعرفة ويؤدي إلى التكامل بين مختلف التخصصات، ويساعد على استخلاص أجود النتائج، هذا التضافر بالدراسات البينية بين العلوم يبشر بخدمة الإنسان، وتيسير استخلافه في الأرض وتحصيل المنافع.

في السياق التاريخي لظهور البينية نجد أنها نشأت في ظل السعي إلى تجاوز التخصصية الضيقة ليشمل مجالات العلوم الواسعة، ولذلك صار السعي نحو نَظم البحث العلمي وأساليبه وإجراءاته نَظما بينيا؛ **ضرورة علمية وعملية**؛ لأن هناك مشكلات قد لا

(١) ينظر: التداخلية في العلوم الإسلامية مقدمات أولية، شبكة ضياء للمؤتمرات، ومنهجية التكامل المعرفي لفتحي الملكاوي، المعهد العالي للفكر الإسلامي (٢٠١٢) م.

يمكن حلها أو التعامل معها من قبل تخصص واحد، بسبب تعقيد أسبابها وعدم قدرة تخصص واحد على حصرها أو مواجهتها[١]

[إن الدراسات البينية تصنع جسرا مهما بين تراثنا النبوي الغني، وبين واقعنا المعاصر]

أهمية البحث وأسباب اختياره:

١- تعتبر البينية ظاهرة في مجال البحث العلمي، تعبر عن حاجة ملحة فرضتها عدة عوامل مرتبطة بالتحولات في مناهج العلوم والتحولات في المجتمعات البشرية.

٢- الدراسات البينية أحد المحركات الرئيسة لتطوير المعارف العلمية بمساهمتها في تحفيز البحث العلمي والحد من الانعزالية والإغراق والانغلاق في التخصص.

٣- إغناء التخصص بالحوار والنقد بالدراسات البينية التي تتشابك فيها المعارف مما ينبثق عنه آفاق بحثية تعود بالفائدة على التخصصات العلمية.

٤- استشراف منهجية جديدة تتضافر فيها كافة العلوم لخدمة الإنسان وتيسير استخلافه في الأرض، وذلك بالدراسات البينية بين علوم الحديث والعلوم الإنسانية كاللغة والتاريخ

حدود البحث:

١- يركز هذا البحث على بيان مفهوم الدراسات البينية (أي التداخل بين التخصصات المختلفة، والتكامل المعرفي بينها) وكيفية تطبيقها فيما يخدم السنة النبوية.

٢- يذكر البحث أمثلة تطبيقية لدور الدراسات البينية في التكامل المعرفي في تخصص السنة النبوية مع غيره في بعض التخصصات، وهي: التفسير، والفقه، ثم اللغة والتاريخ، ولا يسعى البحث استيعاب جميع التخصصات، فهذا ما لا يسعه هذا المقام.

إشكالية البحث وأسئلته:

السؤال الأول: ما مفهوم الدراسات البينية؟

السؤال الثاني: ما هي العلاقة بين الدراسات البينية والسنة النبوية؟

---

(١) ينظر: اتجاهات أعضاء هيئة التدريس نحو الدراسات البينية في كلية التربية بجامعة السلطان قابوس، للعاني ص٥٥، بحث منشور في مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، المجلد السابع، العدد الثالث، ٢٠١٦م.

السؤال الثالث: ما هي الأمثل التطبيقية لعلاقة السنة النبوية بغيرها من التخصصات في ضوء الدراسات البينية؟

السؤال الرابع: ما دور الدراسات البينية في تجويد علوم السنة النبوية؟

الدراسات السابقة:

١- التداخلية بين العلوم في التراث العربي والإسلامي وأثرها على الدرس المصطلحي، مجلة التفاهم، مجلد ١٥، عدد ٥٥، ٥٦، (٣١ مارس ٢٠١٧) (٣٠٧-٣٢٤).

٢- علوم الوحي والعلوم الدقيقة: تجليات التوافق والتداخل، الأحكام الفقهية أنموذجا، مجلة نماء، عدد ٤،٥، ٢٠١٨م، (٢٢٨-٢٤٣).

٣- الدراسات البينية وأثرها في تجويد العلوم الشرعية علم الفقه أنموذجا، للباحث: إسماعيل غازي مرحبا، مركز بحوث الدراسات الإسلامية، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى ٢٠٢١م.

٤- الدراسات والبحوث البينية مدخل لتطوير الدراسات التربوية في الوطن العربي للأستاذ الدكتور عبد الرزاق مختار محمود، بحث منشور في مجلة جامعة مطروح للعلوم التربوية والنفسية، مجلد ٢، عدد٤، جزء٢، أكتوبر ٢٠٢٢م.

منهج البحث: المنهج الذي سلكته في هذا البحث: هو المنهج التحليلي[١]، لتفسير المعلومات وتحليلها، والمقارنة بينها وتقديمها بصورة مترابطة تحقق غرض البحث وهدفه،

خطة البحث: هذا وقد جاء البحث مشتملًا على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث.

فأما المقدمة: ففيها التعريف بالبحث، وحدوده، وأهميته وأسباب اختياره، والخطة التي اشتمل عليها.

- **المبحث الأول: الدراسات البينية (مفهومها، أقسامها وسماتها، أهميتها) وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: مفهوم الدراسات البينية.

---

(١) **المنهج التحليلي:** منهج يقوم على دراسة الإشكالات العلمية المختلفة، تفكيكا أو تركيبا أو تقويما، للوصول إلى قواعد وأصول معينة. ينظر: أبجديات البحث في العلوم الشرعية للدكتور فريد الأنصاري (ص: ٩٦)، نشر: دار الفرقان، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، الدار البيضاء.

المطلب الثاني: أقسام الدراسات البينية، وسماتها.

المطلب الثالث: أهمية الدراسات البينية المتعلقة بالسنة النبوية.

- **المبحث الثاني: علاقة السنة النبوية بغيرها من العلوم الشرعية، وفيه تمهيد ومطلبان:**

المطلب الأول: علاقة السنة النبوية بعلم التفسير.

المطلب الثاني: علاقة السنة النبوية بعلم الفقه.

- **المبحث الثالث: علاقة السنة النبوية بغيرها من العلوم الإنسانية، وفيه مطلبان:**

المطلب الأول: علاقة السنة النبوية بعلم اللغة.

المطلب الثاني: علاقة السنة النبوية بعلم التاريخ.

ثم: الخاتمة وفيها النتائج والتوصيات، ثم المصادروالمراجع، ثم الفهرس.

والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصل اللهم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المبحث الأول

الدراسات البينية (مفهومها، أقسامها وسماتها، أهميتها)

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

تمهيد:

إن التداخل والتكامل في العلوم الشـرعية فيما بينها، وبين العلوم الأخرى المختلفة؛ كان من الخصائص المميّزة للعلوم في التراث العربي والإسلامي، وكان لهذا التكامل نتيجة علمية لا يمكن التنكر لها أو التغاضي عن آثارها الإيجابية(١).

ثم جاءت نشأة الجامعات الحديثة بنظمها المؤسسية والعلمية، فسعت العلوم إلى الانفصال عن بعضـها، بغية التمكن من التخصـص الواحد والتركيز على اسـتيعابه، ومع وجاهة هذا التوجه وإفادته، إلا أنه ظهرت في إِثْرِهِ سِلْبية خطيرة، وهي سلبية الإيغال في التخصص.

إن انفصـال وتجزؤ واسـتقلال كل علم أو معرفة أو تخصـص بذاته، وتقوقعه على نفسه وانعزاله؛ يؤدي إلى معارف منقوصة مشوهة، غير كافية، بل ربما يشيخ هذا التخصص ويجمد، ومن هنا **تبرز أهمية الدراسـات البينية** التي يشـترك فيها نوعان من العلوم أو المعرفة فأكثر، اشـتراك يثري المعرفة ويؤدي إلى التكامل بين مختلف التخصـصـات، ويسـاعد على استخلاص أجود النتائج، هذا التضافر بالدراسات البينية بين العلوم يبشر بخدمة الإنسان، وتيسير استخلافه في الأرض وتحصيل المنافع.

في السـياق التاريخي لظهور البينية نجد أنها نشـأت في ظل السـعي إلى تجاوز التخصصية الضيقة لتشمل مجالات العلوم الواسعة، ولذلك صار السعي نحو نَظم البحث العلمي وأسـاليبه وإجراءاته نَظما بينيا؛ **ضـرورة علمية وعملية**؛ لأن هناك مشـكلات قد لا يمكن حلها أو التعامل معها من قبل تخصـص واحد، بسـبب تعقيد أسـبابها وعدم قدرة تخصص واحد على حصرها أو مواجهتها(٢).

---

(١) ينظر: التداخلية في العلوم الإسـلامية مقدمات أولية، شـبكة ضـياء للمؤتمرات، ومنهجية التكامل المعرفي لفتحي الملكاوي، المعهد العالي للفكر الإسلامي (٢٠١٢)م.

(٢) ينظر: اتجاهات أعضـاء هيئة التدريس نحو الدراسـات البينية في كلية التربية بجامعة السـلطان قابوس، للعاني ص٥٥.

المطلب الأول: مفهوم الدراسات البينية

أولًا: تعريف "البينية":

هذا المصطلح "البينية" مصطلح حديث نسبيا، نشأ في ظل التوجهات الجديدة التي انتقدت الإيغال في التخصص، ودعت إلى مقاربة بينية بين العلوم(١).

كلمة "البينية" مأخوذة من (البَيْن)، من ألفاظ الأضداد، فيعني الوصل والفرقة، والمعنى الأول هو الذي يعنينا في بحثنا هذا، فالبينية تدل على مجموعة الصفات التي تتصف بها البحوث العلمية التي تعالج القضايا العلمية من زوايا الحقول والتخصصات المختلفة.

ثانيا: تعريف الدراسات البينية كمركب إضافي:

عبارة عن "دمج تخصصين أو أكثر، من حيث المفاهيم والمصطلحات والمناهج المستعملة والمصادر والإجراءات والنظريات والأدوات والبيانات، وذلك في القضايا التي تتجاوز حدود التخصص الواحد، بهدف الخروج من إشكالات التجزئة والوصول إلى نتائج تكاملية دقيقة"(٢).

وعرفها د. محمد الحجيلي تعريفا مختصرا بأنها: دراسة معتمدة على نوعين أو حقلين من المعرفة فأكثر، لأجل الوصول إلى نتائج مُرضية لخدمة البشرية(٣).

---

(١) ينظر: البحث التربوي بين التخصصات، دراسة ابستيمولوجية، لعدنان محمد أحمد قطيط، بحث منشور في مجلة البحث التربوي مجلد ١٧، العدد ٣٤، ٢٠١٨م، ص: ٢٤٧، ٢٤٨.

(٢) ينظر: اتجاهات أعضاء هيئة التدريس نحو الدراسات البينية في كلية التربية بجامعة السلطان قابوس، للعاني ص٥٥.

(٣) في لقاء علمي مسجل بكلية الحديث الشريف والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، من إلقاء الدكتور: محمد الحجيلي، رابط اللقاء:

https://www.youtube.com/watch?v=DyQgwKzjvcs

المطلب الثاني: أقسامها، وسماتها

أقسام الدراسات البينية في العلوم الشرعية:

تنقسم الدراسات البينية في العلوم الإسلامية إلى أقسام رئيسة بناء على طبيعة التداخل بين التخصصات المختلفة، وبيانها كما يلي:

١- **الدراسات البينية الداخلية**: وهي ما كان التداخل فيها بين فروع العلم الواحد، مثل التداخل بين الفقه وأصوله في استنباط الأحكام الشرعية، والهدف: تحقيق تكامل وتعمق داخل الحقل المعرفي.

٢- **الدراسات البينية الخارجية**: وهي ما كان التداخل فيها ينتمي لحقول علمية متنوعة، مثل التداخل بين الفقه الإسلامي والاقتصاد، وذلك لدراسة المعاملات المالية الإسلامية المستجدة والمعاصرة، والهدف: معالجة موضوعات مركبة لا يمكن تفسيرها بتخصص واحد.

سمات الدراسات البينية: إن للدراسات البينية في العلوم الشرعية -لا سيما السنة النبوية- سمات مهمة تتميز بها، وتجعل لها أهمية كبرى في تطوير البحث العلمي، ومن هذه السمات:

١- **التكامل المعرفي**: تسعى الدراسات البينية إلى دمج مفاهيم ومناهج من تخصصات متعددة مما يساهم في تقديم رؤى شاملة ومعمقة للقضايا محل الدراسة[١].

٢- **المرونة المنهجية**: مما يميز الدراسات البينية قدرتها على التكيف مع مختلف المناهج البحثية، مما يفتح المجال لتناول الموضوع محل الدراسة من زوايا متعددة.

٣- **تعزيزوتشجيع التعاون بين التخصصات**: مما يساهم في تبادل الخبرات وتوسيع آفاق البحث العلمي، مما يلقي بظلاله على جودة النتائج.

٤- **إفادة المجتمع**: في حل مشكلاته وتوسيع مداركه، بل توفر هذه الدراسات رؤى متعددة الأبعاد، مما يسهم في دعم اتخاذ القرار في مختلف المجالات.

٥- **تعزيز الفهم الثقافي والاجتماعي**: تسهم الدراسات البينية في تعزيز الفهم الثقافي والاجتماعي للمجمعات الإسلامية من خلال دمج علوم السنة النبوية مع العلوم الاجتماعية والإنسانية.

---

(١) ينظر: الدراسات البينية وأثرها في تجويد العلوم الشرعية للدكتور إسماعيل غازي.

المطلب الثالث: أهمية الدراسات البينية المتعلقة بالسنة النبوية

أشير في هذا المطلب إلى أهمية الدراسات البينية المتعلقة بالسنة النبوية، وألخصها في النقاط التالية:

١- **توسيع فهم النصوص**: فربط السنة بعلوم أخرى كعلم الاجتماع مثلا يساعدنا في فهم أعمق للنصوص النبوية، ويكشف لنا الأبعاد الحضارية والإنسانية لهذا الدين العظيم، ومثال ذلك: دراسة كيفية تنظيم المجتمع المدني في المدينة النبوية، بعد الهجرة تنظيما نموذجيا اجتماعيا متكاملا(١).

٢- **تحقيق المقاصد الشرعية**: بإبرازها وبيانها من خلال السنة النبوية؛ فمجال البحث في السنة النبوية متعلق بحاجات الناس وما يستعملونه، ويحتاجون فيه معرفة الأحكام الشرعية.

٣- **دعم البحث العلمي المتكامل**: وذلك بالجمع بين التخصصات العلمية المختلفة كعلم النفس مع علوم الحديث والسنة النبوية مما يؤدي إلى بناء منهج بحثي أكثر شمولا ودقة، مثال ذلك: بحث تعامل النبي -صلى الله عليه وسلم- مع مشاعر الصحابة -رضوان الله عليهم- مثل احتوائه للغضب والحزن، وتوجيه الانفعالات السلوكية بطريقة تربوية(٢).

٤- **دفع الشبهات وتصحيح المفاهيم**: فيمكن من خلال الدراسات البينية توظيف مناهج متعددة تكشف تحريفات وسوء فهم النصوص النبوية، والمساهمة في تصحيح التصورات المغلوطة عنها.

٥- **إحياء دور السنة النبوية كمصدر حضاري**: وذلك من خلال الدراسات البينية التي تبرز السنة كمصدر تشريعي وثقافي وأخلاقي لا مثيل له.

---

(١) ينظر: بحث بعنوان: من هدي السنة النبوية في التعايش مع الآخر للدكتورة حنان الخشت، مدرس الحديث بكلية البنات بالأزهر / أسيوط، البحث منشور في مجلة الدراية (٤٠٩- ٤٩٥).

(٢) ينظر: تزكية النفس في ضوء الكتاب والسنة، لماجد بن خنجر، مقال على الشبكة، ورابطه: https://www.alukah.net/social/٠/٣٣٢٨٧

المبحث الثاني

علاقة السنة النبوية بغيرها من العلوم الشرعية

وفيه مطلبان:

إن التداخل والتكامل في العلوم الشـرعية فيما بينها، وبين العلوم الأخرى المختلفة؛ كان من الخصائص المميّزة للعلوم في التراث العربي والإسلامي، وكان لهذا التكامل نتيجة علمية لا يمكن التنكر لها أو التغاضي عن آثارها الإيجابية.

المطلب الأول: علاقة السنة النبوية بعلم التفسير

وفيه تمهيد، وفرعان:

تمهيد

إن علاقة السـنة النبوية وعلم الحديث بعلم التفسـير علاقة قوية، فلا يمكن فهم القرآن الكريم فهما سليما إلا بالحديث الشريف، وقد تضمن الحديث بيان أسباب النزول، والتي لا بد أن يعرفها المفسـر، وتضـمن علم الحديث معالم منهجية في تفسـير آيات القرآن الكريم، فالنبي -صـلى الله عليه وسـلم- فسّـر وبين للصـحابة -رضـوان الله عليهم- ما كانوا يحتاجونه من معاني القرآن.

فالكتاب والسنة وحي من الله، والسنة مبينة للقرآن، هذا وإن الأحكام التي جاءت بها السنة من حيث علاقتها بالقرآن على أنواع ستة[1]:

١- **السنة المؤكدة للقرآن**: فقد أكدت السنة وقررت ما جاء في القرآن الكريم من اعتقاد وأحكام وأخبار، ولا يوجد بين نصـوص القرآن والسـنة تعارض أبدا، ومثال ذلك: قوله تعالى: "**آمَنَ الرَّسُـولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُـلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُـلِهِ**" [البقرة: ٢٨٥]، فجاءت السـنة وأكدت أركان الإيمان الواردة في الآية كما

(١) ينظر: كتاب السنة النبوية، مكانتها، وحجيتها، ونقض شبهات الطاعنين فيها، ص: ٢١-٢٣، إعداد: مركز إحسان لدراسات السنة النبوية.

حديث جبريل -عليه السلام- لما سأل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الإيمان، فقال له: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر، خيره وشره"(١).

٢- **السنة المفصلة لمجمل ما في القرآن**: فما جاء في القرآن الكريم مجملا؛ جاء في السنة تفصيله، فجاء في القرآن الأمر بالصلاة، وإيتاء الزكاة، ولم يرد في القرآن عدد الصلوات ولا كيفيتها، ولم يرد فيه أيضا نصاب الزكاة، وتفصيل ذلك، فجاءت السنة فصلت ما أجمل في القرآن الكريم.

٣- **السنة المخصصة لعموم القرآن**: فقد يأتي حكم عام في القرآن، فتخصص السنة عمومه، فقد خصصت السنة النبوية عموم قوله تعالى: "وأحل ما وراء ذلكم" [سورة النساء: آية٢٤]، بقوله -صلى الله عليه وسلم-: "لاَ يُجْمَعُ بَيْنَ المَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا، وَلاَ بَيْنَ المَرْأَةِ وَخَالَتِهَا"(٢).

٤- **السنة المقيدة لما أطلق في القرآن**: ومثاله تقييد لفظ الوصية المطلق في الآية: "**مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ**" [سورة النساء، من الآية: ١١]، فقيدت السنة هذه الوصية بالثلث، كما في حديث: "الثلث والثلث كثير"(٣)، وأيضا قيدت السنة مطلق الوصية كما جاء في الحديث أبي أمامة -رضي الله عنه- قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ فَلَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ"(٤).

٥- **السنة تؤسس لأحكام لم ترد في القرآن**: كنهي الرجال عن لبس الذهب والحرير(٥).

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، (٣٦/١) حديث رقم (٨) من حديث عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب لا تنكح المرأة على عمتها (١٢/٧) ٥١٠٩، ومسلم، كتاب النكاح، باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح (١٠٢٨/٢) ١٤٠٨.

(٣) اخرجه البخاري، كتاب الوصايا، باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس (٣/٤)٢٧٤٢، ومسلم، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث (١٢٥٠/٣)١٦٢٨ من حديث سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه-.

(٤) اخرجه أبو داود، كتاب الوصايا، باب ما جاء في الوصية للوارث (١١٤/٣) ٢٨٧٠، والترمذي، في أبواب الوصايا، باب ما جاء لا وصية لوارث (٤٣٣/٤) ٢١٢٠، وابن ماجه، كتاب الوصايا، باب لا وصية لوارث (٩٠٥/٢)٢٧١٣، وأحمد في مسنده (٦٢٨/٣٦) ٢٢٢٩٤.

(٥) اخرجه البخاري، كتاب الأشربة، باب آنية الفضة (١١٣/٧)٦٣٥، ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال (١٦٣٥/٣)٢٠٦٦ من حديث البراء بن عازب -رضي الله عنه-

ويتضح مما سبق العلاقة القوية بين الوحيين، وللدراسات البينية بين العِلمين أثرٌ كبيرٌ في التكاملِ وشمولية النظرة، وصحة الأقوال المنسوبة لقائليها في التفسير، بدءا من النبي -صلى الله عليه وسلم- ثم ما نسب للصحابة -رضوان الله عليهم-، وللتابعين والأئمة -رحمهم الله- من آثار وأقوال في التفسير، وقد كان لعلوم الحديث دور بارز في تنقيح كتب التفسير من الموضوعات والإسرائيليات، فيجب على المحدث أن يعرف التفسير، ويجب على المفسر أن يعرف علوم الحديث، حتى يستطيع تمييز الصحيح من الضعيف في التفسير بالمأثور، وحتى لا يدخل الدخيل -من إسرائيليات وأحاديث موضوعة ونحوها- على التفسير.

الفرع الأول: التكامل المعرفي والمنهجي بين علمي الحديث والتفسير، وعناية كتب السنة بالتفسير

إن العلاقة بين علمي الحديث والتفسير علاقة وثيقة مترابطة، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- كان يفسر للصحابة معاني القرآن، ثم فسّر الصحابةُ -رضوان الله عليهم- القرآنَ بحديث النبي -صلى الله عليه وسلم- فهم الذين شاهدوا نزول الوحي، وعاصروا أسباب النزول، وتلقى ذلك عنهم التابعون، وصارت لتلك الأقوال التفسيرية أسانيد يرويها الآخر عن الأول، فالسنة النبوية مصدر أساسي في فهم القرآن، وتوثيق رواياتها التفسيرية أساس لمعرفة ثبوتها من عدمه، وهذه مهمة علم الحديث الشريف، وهكذا يتبين لنا أن علم التفسير نشأ في ظلال الحديث النبوي، وبعين رعايته، فقد كان التفسير بالمأثور جزءا من كتب السنة النبوية، وبابًا من أبوابها، لم ينفصل عنها، وهذا يدل على مدى قوة العلاقة بين علمي الحديث والتفسير، والأثر الكبير لكتب الحديث في علم التفسير بالمأثور(١).

وفيما يلي إشارة إلى عناية كتب السنة بالتفسير وإيرادها أحاديث التفسير فيها:

١/ أحاديث التفسير في **صحيح البخاري**: اعتنى الإمام البخاري -رحمه الله- في صحيحه بإيراد أحاديث تفسير القرآن الكريم بالمأثور، فخصص كتابا كبيرا للتفسير في جامعه الصحيح، وذكر فيه عددا كبيرا من الأحاديث المرفوعة والموقوفة والمقطوعة، وهذا يشير إلى

(١) ينظر: مجالات تأثير علم الحديث في علم التفسير بالمأثور دراسة وصفية تحليلية، (ص: ١٣٥)، بحث منشور في مجلة الحديث بجامعة العلوم الإسلامية بماليزيا للدكتور محمد الشرباني ٢٠٢١م.

أن الصحيح من التفسير بالمأثور ليس قليلا، ويشير أيضا إلى الأثر الكبير لعلم الحديث في التفسير بالمأثور، ومدى اهتمام المحدثين بالروايات التفسيرية[١].

٢/ أحاديث التفسير في **صحيح مسلم**: أورد الإمام مسلم -رحمه الله- أحاديث التفسير في كتاب خصصه لذلك في صحيحه، وعددها أقل مما جاء عند البخاري، وروى أيضا أحاديث في التفسير متفرقة في سائر صحيحه.

٣/ أحديث التفسير في **الترمذي**: أخرج الإمام الترمذي في سننه أحاديث التفسير في بابها، واشتملت على غالب سور القرآن الكريم، بالإضافة إلى أحاديث متعلقة بالتفسير أخرجها في ثنايا سننه.

هذا وقد اعتنى بقية أصحاب الكتب الستة بأحاديث التفسير في مصنفاتهم، وإن لم يفردوا لها أبوابا كالشيخين والترمذي، فهذا أبو داود أخرج في سننه الأحاديث المتعلقة بالتفسير، لكنه لم يخصص لها بابا في سننه يوردها تحته، بل كانت مفرقة، وكذا صنع النسائي في المجتبى، وابن ماجه في سننه.

وهكذا اهتمت بقية المؤلفات الحديثية المسندة بروايات التفسير، من ذلك على سبيل المثال: مسند أحمد، وموطأ مالك، وسنن الدارمي، وصحيح ابن حبان، وصحيح ابن خزيمة، ومستدرك الحاكم، وغيرها من الكتب الحديثية مما يؤكد على الأثر البارز والمهم لعلم الحديث في التفسير وروايته، ويؤكد اهتمام المحدثين بنقل روايات التفسير والحرص عليها، مما يدل على عمق التكامل المعرفي بين العلمين الشريفين: الحديث والتفسير.

(١) ينظر: مجالات تأثير علم الحديث في علم التفسير بالمأثور (ص: ١٣٥، ١٣٥) بتصرف.

الفرع الثاني: مظاهر تأثير علم الحديث في علم التفسير، وحاجة علم التفسير إلى علم الحديث

١/ **أثر الإسناد وأهميته في التفسير-واعتماد التفسير على الإسناد في الرواية-**: اعتمد علم التفسير -خصوصا في مراحله الأولى- اعتمادا كبيرا على الإسناد لأنه الوسيلة الوحيدة لنقل تفسير النبي -صلى الله عليه وسلم- وأقوال الصحابة والتابعين، فالإسناد هو أداة التوثيق والتحقيق لهذه المرويات، مما حفظ التفسير من التحريف والدخيل.

هذا وقد دُوِّنت في التفسير كتب مسندة تعتمد على الروايات عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وعن الصحابة والتابعين، ومن أشهرها:

تفسير عبد الرازق، وجامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري، وتفسير **ابن المنذر**، وتفسير **ابن أبي حاتم**، وكلها مطبوعة.

وقد استفاد المفسرون من قواعد نقد الأسانيد التي وضعها المحدثون، يقول ابن أبي حاتم -مبينا أهمية الإسناد ونقده في علم التفسير-: "فلما لم نجد سبيلا إلى معرفه شيء **من معاني كتاب الله** ولا من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا من جهة النقل والرواية وجب أن نميز بين عدول الناقلة والرواة وثقاتهم وأهل الحفظ والثبت والإتقان منهم، وبين أهل الغفلة والوهم وسوء الحفظ والكذب واختراع الأحاديث الكاذبة"[(١)].

يقول أبو شهبة عن التفسير المأثور: "وهذا النوع من التفسير المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم هو الطراز المعلم، ويجب الاعتماد في هذا النوع على الأحاديث الصحاح، والحسان، وتجنب الأحاديث الضعيفة والموضوعة، فقد اختُلِقَ على النبي في تفسير القرآن كما اختُلِقَ عليه في غيره"[(٢)].

٢/ **أثر الإسناد وأهميته في علم أسباب النزول**: اعتنى المفسرون بأسباب النزول عناية بالغة، وألفوا فيها المؤلفات، لأنها إحدى العلوم الكاشفة عن مقصود الآيات ومعانيها[(٣)].

---

(١) ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (ص:٥)، نشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن – الهند، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٢٧١ هـ ١٩٥٢ م.

(٢) ينظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لمحمد أبو شهبة (ص: ٤٦، ٤٧)، نشر: مكتبة السنة، الطبعة الرابعة.

(٣) ينظر: مجالات تأثير علم الحديث في علم التفسير بالمأثور (ص: ١٤١).

يقول الواحدي: "ولا يحل القول في أسباب النزول إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها"(١).

إذا عُلم هذا عُلم أن أسباب النزول جزء من السنة النبوية، فلا تقبل فيها رواية إلا إذا ثبتت بسند صحيح أو حسن، فلا بد من تمييز الصحيح من الضعيف في روايات أسباب النزول، وهذا يكون عبر المحدثين في قواعد دراسة الإسناد.

ومما يبين التكامل المنهجي بين الحديث والتفسير، ويظهر أهمية علم الإسناد في أسباب النزول: معرفة الزمان والمكان والسياق الذي نزلت فيه الآية، ولا سبيل لمعرفة ذلك واعتماده إلا بتوثيقه عبر الإسناد الصحيح.

وكذلك من آثار أهمية الإسناد في أسباب النزول: ضبط المرويات المنقولة عن الصحابة في أسباب النزول، فأحاديث أسباب النزول الواردة عن الصحابة -رضوان الله عليهم- لها حكم الرفع، قال الحاكم: "لِيَعْلَمَ طَالِبُ هَذَا الْعِلْمِ أَنَّ تَفْسِيرَ الصَّحَابِيِّ الَّذِي شَهِدَ الْوَحْيَ وَالتَّنْزِيلَ عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ حَدِيثٌ مُسْنَدٌ"(٢)، ووافقه ابن الملقن فقال: "تفسير الصحابي إن تعلق بسبب نزول آية أو نحوه مرفوع"(٣)، وكذا قال ابن الصلاح، وغيره(٤)، فالإسناد عماد علم أسباب النزول، وبه يُعرف الصحيح من الضعيف، ويُضبط سياق التنزيل، ويُفهم النص القرآني.

٣/ أثر الإسناد وأهميته في علم الناسخ والمنسوخ: إن الإسناد هو الأداة المنهجية الأساسية لعلم الناسخ والمنسوخ، فبالإسناد يعرف التاريخ، وبه يعرف المتقدم من المتأخر، وتتميز الرواية الصحيحة من الضعيفة، وبالإسناد تُحفَظ الشريعة من دعاوى النسخ الباطلة التي لا تثبت، فلا يصح القول بالنسخ إلا بإسناد صحيح، فعلم النسخ في جوهره يعتمد على

(١) ينظر: أسباب نزول القرآن للواحدي (ص: ٨)، تحقيق: عصام عبد المحسن، نشر: دار الإصلاح بالدمام، الطبعة الثانية.

(٢) ينظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم (٢/٢٨٣)٣٠٢١، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩٠م.

(٣) ينظر: **المقنع في علوم الحديث** لابن الملقن (١/١٢٧)، تحقيق: عبد الله بن يوسف الجديع، نشر: دار فواز للنشر – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ.

(٤) ينظر: مقدمة ابن الصلاح (ص: ٢٤).

علم الحديث في التحقق من صحة الرواية أو ضعفها، نقل السيوطي عن ابن الحصار نصا مهما عن أهمية النقل الصحيح في مسألة النسخ فقال:"وَلَا يُعْتَمَدُ فِي النَّسْخِ قَوْلُ عَوَامِّ الْمُفَسِّرِينَ بَلْ وَلَا اجْتِهَادُ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْ غَيْرِ نَقْلٍ صَحِيحٍ وَلَا مُعَارِضَةٍ بَيِّنَةٍ لِأَنَّ النَّسْخَ يَتَضَمَّنُ رَفْعَ حُكْمٍ وَإِثْبَاتَ حُكْمٍ تَقَرَّرَ فِي عَهْدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُعْتَمَدُ فِيهِ النَّقْلُ وَالتَّارِيخُ دُونَ الرَّأْيِ وَالِاجْتِهَادِ"[(١)]. فلا اعتماد لقولٍ بالنسخ إلا بإسناد صحيح.

وهكذا يتبين أهمية الإسناد في علم الناسخ والمنسوخ، ولأن القول بالنسخ تترتب عليه أحكام؛ اشترط العلماء ثبوت القول به بسند صحيح.

٤/ أثر الإسناد في تنقيح كتب التفسير من الدخيل (الموضوعات والإسرائيليات):

الموضوعات هي أحاديث وأخبار مكذوبة مختلقة مصنوعة لا أصل لها، وتنسب كذبا للنبي -صلى الله عليه وسلم-، ولا تحل روايتها إلا لبيان وضعها[(٢)]، والإسرائيليات: هي مرويات أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وسبب دخولها في التفسير دخول كثير من أهل الكتاب في الإسلام، محتفظين بموروثهم الإخباري والعقدي، وإن بعض المسلمين أخذ يسأل من كان من أهل الكتاب عن تفصيلات أغفلها القرآن عن حكمة، فأدخل هذه الإسرائيليات وأقحمها في تفسير القرآن الكريم ومدونات علوم الإسلام، وهي على ثلاثة أقسام: الأول: قسم له شاهد من شرعنا يؤيده ويعضده، وهذا مقبول، والثاني: قسم يناقض ما ثبت في شرعنا، وهذا مردود ومرفوض، والثالث: لم يؤيده شرعنا ولا كان مناقضا له، فنتوقف في هذا القسم لا مصدقين ولا مكذبين، والأولى غض الطرف عنه جملة وتفصيلا، والأخبار الإسرائيلية شرها مستطيرها قل أن يسلم منها كتاب، ولها آثار سيئة تهدد كثيرا من ثوابت ديننا وتنقضه، لو أنها قبلت من غير تمحيص، خاصة أن غالب من اعتمد عليها لم يميز بين ما هو مقبول وما هو مردود فذكرت في كتبهم بعجرها وبجرها، وقد أدخلها بعض المفسرين في كتبهم دون تمحيص وتمييز،

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٨١/٣)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

(٢) ينظر: مقدمة ابن الصلاح (ص: ٩٨، ٩٩) تحقيق: عبد اللطيف الهميم - ماهر ياسين الفحل، نشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢ م.

ولكن وبرغم ذلك قام كثير من العلماء بالإشارة إلى الإسرائيليات ونقدها وتنقية التفسير منها كما فعل ابن كثير في تفسيره"[١].

يقول الدكتور محمد الذهبي -رحمه الله- عن أثر الإسرائيليات في التفسير: "ولقد كان لهذه الإسرائيليات التي أخذها المفسِّرون عن أهل الكتاب وشرحوا بها كتاب الله تعالى أثر سيء في التفسير، ذلك لأن الأمر لم يقف على ما كان عليه في عهد الصحابة، بل زادوا على ذلك فرووا كل ما قيل لهم إن صدقاً وإن كذباً، بل ودخل هذا النوع من التفسير كثير من القصص الخيالي المخترَع، مما جعل الناظر في كتب التفسير التي هذا شأنها يكاد لا يقبل شيئاً مما جاء فيها، لاعتقاده أنَّ الكل من واد واحد. وفي الحق أنَّ المكثرين من هذه الإسرائيليات وضعوا الشوك في طريق المشتغلين بالتفسير، وذهبوا بكثير من الأخبار الصحيحة بجانب ما رووه من قصص مكذوب وأخبار لا تصح، كما أن نسبة هذه الإسرائيليات التي لا يكاد يصح شيء منها إلى بعض من آمن مِنْ أهل الكتاب؛ جعلت بعض الناس ينظر إليهم بعين الاتهام والريبة"[٢].

قلت: ومن هنا تبرز أهمية علوم الحديث، والإسناد بخاصة في تنقية وتنقيح كتب التفسير مما دخل فيها من الأحاديث الموضوعة، والإسرائيليات، فقد اعتنى علماء الحديث ببيان المقبول من المردود، وذلك عبر دراسة مرويات التفسير وتطبيق قواعد دراسة الإسناد عليها واستخراج الروايات الموضوعة والإسرائيليات المكذوبة والمحرفة التي تخالف نصوص الوحيين، وبيان حالها واطراحها.

(١) ينظر: معجم علوم القرآن لإبراهيم الجرمي (ص: ٤٥، ٤٦)، نشر: دار القلم – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ-٢٠٠١ م.

(٢) ينظر: التفسير والمفسرون للدكتور محمد الذهبي (١/ ١٣٠)، نشر: مكتبة وهبة، القاهرة.

المطلب الثاني

علاقة السنة النبوية بعلم الفقه

وفيه لمحة تاريخية وثلاثة فروع:

لمحة تاريخية عن العلاقة بين علم الحديث والفقه

السنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التشريع، وغاية علم الحديث معرفة المقبول والمردود مما يُنسب للنبي -صلى الله عليه وسلم- للعمل به، ولمَّا كان الفقه هو "العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية"(١)، وثمرتُه: امتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، واستمدادُه من الوحيين: الكتاب والسنة؛ كانت علاقته وارتباطه بالسنة النبوية وعلوم الحديث ارتباطا ضروريا وثيقا، وهكذا كان الحال في الرعيل الأول، بل يمكننا القول بأن العهد النبوي هو أول وأهم العصور الفقهية على الإطلاق، لأن التشريع الإلهي المتمثل في القرآن والسنة تم فيه واكتمل، وقد شيدت فيه أصول الدين ومحكماته وقواعد التشريع وأصول الأدلة **بالإضافة إلى وفرة النصوص التشريعية** التي غطت مجمل جوانب الحياة(٢).

ثم كانت عناية الصحابة -رضوان الله عليهم- بالوحيين عناية عظيمة، صيانة وتعلما وتعليما وعملا، وقد اعتنى العلماء بنقل فتاويهم وأقضيتهم مضمومة إلى أحاديث النبي -صلى الله عليه وسلم- في كتب المسانيد والسنن وغيرهما.

ثم جاء التابعون بعدهم، واهتموا بما اهتم به الصحابة -رضوان الله عليهم-، وفيهم بدأت ظهور المدارس الفقهية، ففي عصرهم كثرت الوقائع والمستجدات، واتسعت رقعة البلاد الإسلامية بالفتوحات، وتغيرت أنماط الحياة الاجتماعية والسياسية للناس، مما أدى إلى اتساع الاجتهادات، وكثرة الخلافات الفقهية، وكثر أيضا في هذا العصر الاستدلال بأقوال الصحابة وفتاويهم.

---

(١) معجم مصطلحات العلوم الشرعية (١٢١٤/٣)، لمجموعة من المؤلفين، نشر: وزارة الشؤون الإسلامية بالرياض، ومدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية ١٤٣٩هـ، ٢٠١٧م.

(٢) تاريخ الفقه (ص: ٣٩)، إعداد: شركة إثراء المتون، بإشراف: عطاءات العلم، ١٤٤٤هـ، ٢٠٢٢م.

وفي هذا العصر أيضا ظهر الوضع في الحديث، فبعد أن كثرت رواية الحديث وانتشرت، وكثر المنتسبون للرواية والمدعون لحمل الحديث؛ تصدى العلماء المحققون لهذه الآفة، بتمحيص الأحاديث، والنظر في رواتها، وبيان صحيحها من ضعيفها، الأمر الذي استتبع قيام العلماء بتدوين السنة النبوية، وفي هذا العصر أيضا ظهرت مدرسة الحديث ومدرسة أهل الرأي(١).

ثم تلا ذلك العصر عصر الأئمة المجتهدين، وفيه اكتمل تدوين السنة النبوية وتبويبها، وتمايزت العلوم الشرعية وبرزت التخصصات في علوم الشريعة واللغة، وظهرت العناية أيضا بأصول العلوم الشرعية والتأليف فيها، ووضع قواعد الاجتهاد(٢)، ثم بعد ذلك تبلورت المذاهب الفقهية الأربعة المشهورة.

مما سبق -في هذا السرد التاريخي المختصر- تتبين العلاقة المتينة والترابط القوي بين الحديث والفقه، فعلم الفقه يقوم على الاستدلال بالنصوص، والحديث الشريف هو المصدر الثاني من مصادر التشريع، ولا يمكن استخراج الأحكام الشرعية إلا بالرجوع للأحاديث النبوية الصحيحة.

يقول صاحب بحث معالم التكامل المعرفي عند المحدثين -في معرض ذكره لأوجه التكامل المعرفي عند المحدثين- أن من تلك الأوجه: تحريرهم الدقيق للفروق بين علم الحديث وغيره من العلوم الشرعية مثل علم الفقه وعلم التفسير، وتصورهم لخطوط التماس والاشتراك بين العلمين **ليتقرر أن كلا العلمين لا يستغني عن الآخر بحال من الأحوال**".(٣)

(١) تاريخ الفقه، إثراء المتون (ص: ٧٩، ٨٠) بتصرف يسير.

(٢) ينظر: تاريخ الفقه، إثراء المتون (ص:٩٥، ٩٦).

(٣) ينظر: معالم التكامل المعرفي عند المحدثين للدكتور عبد الكريم عكيوي (ص: ١٩٩)، بحث منشور بمجلة الواضحة العدد ٦، كلية الآداب، أكادير.

الفرع الأول: صورٌوأمثلةٌ على التداخل والتكامل بين علم الحديث والفقه

إن وجود المحدث الفقيه والفقيه المحدث كان أمرا طبيعيا في صدر الإسلام وعصوره الزاهية، وكانوا يتمتعون بسعة الأفق وطول النظر ورحابة الصدر"[(١)]، والأمثلة على الدراسات البينية والتكامل بين الحديث والفقه كثيرة مشتهرة، أذكر منها ما يلي:

المثال الأول: المؤلفات الحديثية لأئمة الحديث رُتّب الكثير منها على الكتب والأبواب الفقهية، وفي هذا إشارة واضحة على التكامل بين العلمين وأن الترتيب الفقهي كان مقصودا من أئمة الحديث.

١- فهذا **الإمام مالك** (ت ١٧٩) هـ، ألف الموطأ ورتبه على الكتب والأبواب الفقهية، فقسمه إلى كتب (الصلاة، الجنائز، الزكاة ...) إلخ، وكثيرا ما كان يختم الباب برأيه في المسألة، وهو كما أنه إمام في الحديث، فهو إمام في الفقه، وإليه ينتسب المالكية.

٢- وهذا **الإمام عبد الرزاق الصنعاني** (ت: ٢١١) هـ، رتب مصنفه على الكتب والأبواب الفقهية (الطهارة، الحيض، الصلاة ...) إلخ، وجمع فيه الأحاديث والآثار المتعلقة بالأحكام، والصناعة الفقهية ظاهرة في هذا المصنف من ترتيب على الأبواب الفقهية، ثم ما حواه الكتاب من فتاوى الصحابة ومن بعدهم وفتاوى شيوخه كابن جريج والثوري، وبذلك يكون مصدرا مهما من المصادر الجامعة لفقه الصحابة والتابعين، ثم هو يرجح بين اجتهادات الصحابة ومن بعدهم، وكذا الحال في مصنف ابن أبي شيبة (ت: ٢٣٥)هـ.

٣- ثم جاء **الإمام البخاري (٢٥٦هـ)** رحمه الله، فألف جامعه الصحيح، ورتبه على الأبواب الفقهية والمسائل العلمية، (بدء الوحي، الإيمان، العلم، الوضوء، ...) الخ، وقد ظهرت الصنعة الفقهية في هذا الكتاب المبارك ظهورا بينا، فمن ذلك عنايته الفائقة بتراجم الأبواب، وهي تراجم ظاهرة تدل بالمطابقة على ما يورد في مضمونها، وتراجم خفية، لا تدرك إلا بالنظر والتأمل، وقد قيل: فقه البخاري في تراجمه، ثم جاء الإمام مسلم -رحمه الله- فألف صحيحه أيضا، ورُتِّبَ على الكتب والأبواب الفقهية، والذي وضع تراجم الأبواب هو الإمام النووي رحمه الله كما قال ذلك في مقدمة شرحه على صحيح مسلم[(٢)].

(١) ينظر: جدلية العلاقة بين الحديث والفقه في واقعنا المعاصر، الإشكالية وسبل العلاج للدكتور أسامة إبراهيم محمد، بحث منشور في مجلة الأزهر، دراسات في السنة النبوية صفر ١٤٤٣هـ، سبتمبر /أكتوبر ٢٠٢١م، ص(٢١٨).
(٢) ينظر: شرح النووي على مسلم (٢١/١)، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢م.

٤- ثم جاء **الإمام أبو داود (٢٧٥هـ)**، وألف كتابه السنن، ورتبه على الكتب والأبواب الفقهية أيضا، وعده بعض أهل العلم أنه من كتب الأحكام، وقد وضع له تبويبات دقيقة، واستنبط الأحكام من الأحاديث، وأحيانا يشرح المتن، ويذكر الأقوال الفقهية في المسألة وينسبها إلى أصحابها، ويبين الأحاديث المنسوخة، ويذكر بعض الفوائد المتعلقة بالأحاديث.

٥- ثم جاء **الإمام الترمذي (٢٧٩هـ)** رحمه لله، وألف كتابه الجامع مرتبا على الكتب والأبواب الفقهية، وأراد أن يكون جامعا بين الحديث والفقه والعلل والجرح والتعديل، وقد أورد فيه الأقوال الفقهية للصحابة والتابعين ومن بعدهم، وكان يذكر فقه الحديث، والأحكام المستنبطة منه، وما إذا كان عليه العمل أو لا، ومن قال به من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ثم يرجّح.

وهكذا، كان نهج المحدثين في تآليفهم وصنيعهم يجمعون بين الحديث والفقه.

يقول الإمام الخطابي متحدثا عن أهمية الترابط بين الحديث والفقه، وضرورة ذلك: "ورأيت أهل العلم في زماننا قد حصلوا حزبين وانقسموا إلى فرقتين: أصحابُ حديثٍ وأثر، وأهلُ فقهٍ ونظر، وكلّ واحدة منهما لا تتميز عن أختها في الحاجة، ولا تستغني عنها في درك ما تنحوه من البغية والإرادة، لأن الحديث بمنزلة الأساس الذي هو الأصل، والفقه بمنزلة البناء الذي هو له كالفرع، وكل بناءٍ لم يوضَع على قاعدةٍ وأساسٍ فهو منهارٌ، وكل أساسٍ خلا عن بناءٍ وعمارةٍ فهو قفرٌ وخراب"(١).

الفرع الثاني: أثر العلاقة البينية في البحث العلمي بين علمي الحديث والفقه، وخطورة إهمالها

مما سبق يتبين الأهمية البالغة للعلاقة البينية بين علمي الحديث والفقه، والتي كانت بطبيعة الحال موجودة في صدر الإسلام، وعصوره الزاهية الأولى، وهذا الحال كان حقيقة مسلمة حتى نشأ الفصل بين العلوم، والمبالغة في التخصص، مما أدى إلى سلبيات علمية، وفجوات معرفية، -أحاول في بحثي هذا تصويب المسار، والمشاركة في سد هذه الثغرة- ، يقول الدكتور عبد الكريم عكيوي في حديثه عن التكامل المعرفي وتأصيله: "إن التخصص

(١) ينظر: معالم السنن شرح سنن أبي داود لأبي سليمان الخطابي (ص: ٣) نشر: المطبعة العلمية – حلب١٣٥١هـ، ١٩٣٢م.

العلمي الذي هو من سمة العصر الحاضر ليس معناه أن يقف العالم عند مجال تخصصه فحسب من غير التفات إلى ما سواه من المجالات، وإنما يعني الفهم العميق في ميدان من الميادين دون تعصب، وأن يكون هذا الفهم مربوطا بدائرة واسعة من الثقافة العلمية العامة، مع تحرير حدود التماس والالتقاء بين تخصصه وغيره من التخصصات، وكلما زاد نصيب صاحب التخصص من هذه الثقافة زاد عمقه في تخصصه، **فالتعاون بين العلماء ضرورة تفرضها الدراسة العلمية الجادة المتكاملة**، كما يفرضها التخصص العلمي الدقيق الذي أصبح سمة الحياة العلمية المعاصرة، إن الدراسات المعاصرة في مناهج العلوم وسبل تجديد الإبداع فيها أثبتت **أن التجديد في علم من العلوم أكثر ما يكون عند تلاقح حقائق هذا العلم بحقائق العلوم الأخرى** التي لها صلة بموضوع هذا العلم"[١].

إن الناظر المتأمل للنتاج العلمي الحديثي المرتبط بعلم الفقه كما مر في المطلب السابق يدرك أهمية هذا التكامل، وبضدها تتمايز الأشياء، فإن الاكتفاء بالحديث دون إلمام بالفقه أو الاكتفاء بالفقه دون معرفة بالحديث يكون سببا لضلال الأفهام، وزلل الأقدام، واضطراب الأحكام، ...، لذا وجب على علماء الأمة الإسلامية في واقعنا المعاصر سد الفجوة وإصلاح الخلل بضرورة الوصل بين الفقه والحديث وبين الحديث والفقه في الدراسات المعاصرة، كما كان علماء أمتنا العظام في أوج عزها وقمة مجدها في ماضينا التليد وتاريخنا المَجيد، حتى يجمع علماؤنا المعاصرون بين الوسيلة والغاية"[٢].

إن الحديث الشريف أصل الفقه ومصدره، والفقهاء محتاجون إلى قواعد المحدثين لمعرفة صحيح الحديث من ضعيفه، والفقيه يحسن فهم دلالة الحديث ومقاصده، فكل منهما محتاج للآخر حاجة ضرورية.

الفرع الثالث: توصيات متعلقة بالعلاقة البينية بين علمي الحديث والفقه في واقعنا المعاصر

في ختام هذا المطلب أحببت الإشارة إلى بعض الوصايا والمقترحات التي تثري فكرة التكامل المعرفي بين علمي الحديث والفقه، وأُجملها فيما يلي:

---

(١) ينظر: معالم التكامل المعرفي عند المحدثين (ص: ١٩٣، ١٩٤) مصدر سابق.

(٢) ينظر: جدلية العلاقة بين الحديث والفقه في واقعنا المعاصر، ص (٢٢١) مصدر سابق.

أولا: وجوب اعتناء المدارس الشرعية في الزمن المعاصر بالجمع بين منهج الحفظ والتلقين، ومنهج الفهم والبحث والتفكير جنبا إلى جنب، وهكذا كان العلماء الأوائل في القرون الخيرة والأزمنةُ النيّرة، يوجهون الهمم ويحركون العزائم نحو الرواية والدراية، والنقل والفهم، والجمع والتمحيص، والنقد والتحليل، فالجمع بين الحديث والفقه مطلب ضروري وحاجة ماسة لتوجيه مسيرة الأمة نحو الطريق الأصوب في الاعتقاد والفهم والعمل"[١].

ثانيا: دمج المناهج التعليمية المعينة على التكامل المعرفي بين علمي الحديث والفقه، بتضمين مناهج الحديث في دراسة الفقه، والعكس، **فعلى سبيل المثال تستحدث مادة "علم فقه الحديث"**، وتعتني بهذا الجانب، وتقدم فيه دراسات وبحوث، يقول ابن المديني -رحمه الله-: "التفقه في معاني الحديث نصف العلم، ومعرفة الرجال نصف العلم"[٢]، وقد أشار الحاكم النيسابوري إلى أن فقه الحديث أحد العلوم المتفرعة من علم الحديث، فقال: "مَعْرِفَةُ فِقْهِ الْحَدِيثِ إِذْ هُوَ ثَمَرَةُ هَذِهِ الْعُلُومِ، وَبِهِ قِوَامُ الشَّرِيعَةِ، فَأَمَّا فُقَهَاءُ الْإِسْلَامِ أَصْحَابُ الْقِيَاسِ وَالرَّأْيِ وَالِاسْتِنْبَاطِ وَالْجَدَلِ وَالنَّظَرِ فَمَعْرُوفُونَ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَأَهْلِ كُلِّ بَلَدٍ، وَنَحْنُ ذَاكِرُونَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ فِقْهَ الْحَدِيثِ، عَنْ أَهْلِهِ لِيُسْتَدَلَّ بِذَلِكَ عَلَى أَنَّ أَهْلَ هَذِهِ الصَّنْعَةِ مَنْ تَبَحَّرَ فِيهَا لَا يَجْهَلُ فِقْهَ الْحَدِيثِ إِذْ هُوَ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ هَذَا الْعِلْمِ"[٣].

وهذا ابن حجر، بعد أن عاب على من أخل بأحد العلمين، يقول: "فالحق أن كلا منهما في علم الحديث مهم، لا رجحان لأحدهما على الآخر، نعم لو قال: الاشتغال بالفن الأول أهم كان مسلما مع ما فيه، ولا شك أن من جمعهما حاز القدح المعلى. ومن أخل بهما، فلا حظ له في اسم المحدث، ومن حرر الأول، وأخل بالثاني كان بعيدا من اسم المحدث عرفا، هذا لا ارتياب فيه"[٤].

---

(١) ينظر: جدلية العلاقة بين الحديث والفقه في واقعنا المعاصر، ص (٢٢١)، مصدر سابق.

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٨/١١) طبعة: الرسالة، التحقيق: بإشراف شعيب الأرناؤوط الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.

(٣) ينظر: معرفة علوم الحديث للحاكم (ص: ٦٣)، تحقيق: السيد معظم حسين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

(٤) ينظر: النكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر (٢٣٠/١)، تحقيق: ربيع المدخلي، نشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

فتستحدث مادة "فقه الحديث" وتدرس في كليات أصول الدين، وما شابهها، يدرس فيها الطالب فقه الحديث الشريف، فيقرأ الحديث في ضوء الآيات القرآنية ذات الموضوع الواحد، ويعرف في فقه الحديث ناسخ الحديث ومنسوخه، ويعرف غريب الحديث، ومختلفه ومشكله، وكذا أيضا يعرف إعرابه اجتنابا للحن والخطأ، ويعرف أيضا مناسبة الحديث وسبب وروده إن كان له سبب ورود، ويقف الدارس في هذا العلم أيضا على المقاصد الشرعية للأحكام، وأن يعرف كيف يستشهد بأقوال الصحابة، ثم يعرف كلام العلماء على الحديث حول متنه وفقهه، وأن يعرف أيضا إجماع الصحابة، ويعرف اختلاف العلماء، وأصول العلم، وكيفية تطبيق هذه الأصول.

ثالثا: تشجيع البحوث المشتركة بين المتخصصين في الحديث والفقه ودعمها وتبنيها واستكتاب الباحثين والمهتمين بها، ثم نشر هذه الأبحاث، والله أعلم.

المبحث الثالث: علاقة السنة بغيرها من العلوم الإنسانية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: علاقة السنة النبوية بعلم اللغة

وفيه تمهيد وثلاثة فروع:

التمهيد:

اللغة العربية أصل من أصول الشريعة ومفتاح لعلومها، فلا فهم للوحيين ولا معرفة لأسرارهما إلا بها، فبالعربية نزل القرآن، وبها نطق النبي العدنان -صلى الله عليه وسلم-، والعلاقة بين السنة النبوية واللغة العربية علاقة وطيدة، فأفصح الناطقين بالضاد محمد -صلى الله عليه وسلم-، وقد أوتي جوامع الكلم، واختُصر له الكلام اختصارا، وقد عظمت عناية العلماء -لا سيما المحدثين- بالعربية، وتضافرت أقوالهم على الحث على تعلمها، والتحذير من اللحن فيها، فمن رام علوم الشريعة لا بد أن يكون له من اللغة العربية الحظ الوافر، يقول الشافعي -رحمه الله-: "فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يَشْهَد به أنْ لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، ويتلوَ به كتابَ الله، وينطق بالذكر فيما افتُرِض عليه من التكبير، وأُمر به من التسبيح، والتشهد، وغيرِ ذلك، وما ازداد من العلم باللسان، الذي جعله الله لسانَ مَنْ خَتَم به نُبوته، وأنْزَلَ به آخر كتبه: كان خيراً له"[(١)]، فعلى كل مسلم كما يقول الشافعي أن يستفرغ وسعه في تحصيل علوم العربية.

الفرع الأول: اهتمام المحدثين بعلوم العربية

اهتم المحدثون باللغة العربية وتجويدها اهتماما بالغا، وفيما يلي طرف يدل لذلك:

١/ جعلوا من آداب طلب الحديث: الإحاطة باللغة العربية و إتقانها، وفي ذلك يقول **ابن عبد البر**: "وَمِمَّا يُسْتَعَانُ بِهِ عَلَى فَهْمِ الْحَدِيثِ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْعَوْنِ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ **الْعِلْمُ بِلِسَانِ الْعَرَبِ** وَمَوَاقِعِ كَلَامِهَا وَسَعَةِ لُغَتِهَا وَأَشْعَارِهَا وَمَجَازِهَا وَعُمُومِ لَفْظِ مُخَاطَبَتِهَا

(١) ينظر: الرسالة للشافعي، ص (٤٧)، تحقيق: أحمد شاكر، نشر: مكتبه الحلبي، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م.

وَخُصُوصِهِ وَسَائِرِ مَذَاهِبِهَا لِمَنْ قَدَرَ فَهُوَ شَيْءٌ لَا يُسْتَغْنَى عَنْهُ"[١]، **وقال وكيع**: "أَتَيْتُ الْأَعْمَشَ أَسْمَعُ مِنْهُ الْحَدِيثَ وَكُنْتُ رُبَّمَا لَحَنْتُ فَقَالَ لِي: يَا أَبَا سُفْيَانَ تَرَكْتَ مَا هُوَ أَوْلَى بِكَ مِنَ الْحَدِيثِ فَقُلْتُ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ وَأَيُّ شَيْءٍ أَوْلَى مِنَ الْحَدِيثِ؟ فَقَالَ: **النَّحْوُ** فَأَمْلَى عَلَيَّ الْأَعْمَشُ النَّحْوَ ثُمَّ أَمْلَى عَلَيَّ الْحَدِيثَ"[٢]، ويقول ابن الأثير عن علم الحديث: "وله أصول وأحكام وقواعد، وأوضاع، واصطلاحات ذكرها العلماء، وشرحها المحدِّثون، والفقهاء، يحتاج طالبه إلى معرفتها، والوقوف عليها **بعد تقديم معرفة اللغة والإعراب، اللَّذين هما أصلٌ لمعرفة الحديث، لورود الشريعة المطهرة بلسان العرب**"[٣]، ومثل هذه النصوص كثيرة في كلام الأئمة المحدثين مما يدل على عنايتهم البالغة باللغة واهتمامهم بفنونها، مما يُظهر قوتهم ودقتهم في نقل السنة، وبعدهم عن الخلل والزلل في حفظها بسبب ضعف علمهم باللغة، فقد كان المحدثون يؤدون الأحاديث على الوجه الصحيح، لتمكنهم من اللغة.

٢/ **الاهتمام بمسألة اللحن في الحديث، والغلط في النحو، والتشديد فيها**: فقد كان ابن عمر -رضي الله عنهما- يضرب ولده على اللحن[٤]، وقال الأوزاعي: "أَعْرِبُوا الْحَدِيثَ، فَإِنَّ الْقَوْمَ كَانُوا عربًا"[٥]، وقال رجل للأعمش:" إِنَّ ابْنَ سِيرِينَ يَسْمَعُ الْحَدِيثَ فِيهِ اللَّحْنُ فَيُحَدِّثُ بِهِ عَلَى لَحْنِهِ، فَقَالَ الْأَعْمَشُ: «إِنْ كَانَ ابْنُ سِيرِينَ يَلْحَنُ، فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَلْحَنْ، فَقَوِّمُوهُ"[٦]، وقد درج على إصلاح اللحن ومقاومته الجلة من علماء السلف كعبد الله

(١) ينظر: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١١٢٩/٢)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، نشر: الناشر: دار ابن الجوزي، بالمملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

(٢) ينظر: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (٢٦/٢)، تحقيق: د. محمود الطحان، نشر: مكتبة المعارف – الرياض.

(٣) ينظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير (٣٧/١)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط - التتمة تحقيق بشير عيون، نشر: مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، الطبعة الأولى.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٤٠/٥) ٢٥٦٥٠، تحقيق: كمال يوسف الحوت، نشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

(٥) ينظر: الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (ص: ١٩٥)، تحقيق: أبو عبد الله السورقي، وإبراهيم حمدي المدني، نشر: المكتبة العلمية - المدينة المنورة.

(٦) ينظر: الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (ص: ١٩٤).

بن المبارك، وعلي بن المديني، وإسحاق بن راهويه، وقد أوصى الجهابذة من علماء الحديث طلاب العلم في بداية الطلب أن يُعنوا باللغة العربية: نحوها، وصرفها، وبلاغتها(١).

٣/ اشتراطهم العلم باللغة العربية لرواية الحديث بالمعنى: يقول الخطيب البغدادي: "وَرِوَايَةُ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَدِيثُ غَيْرِهِ عَلَى الْمَعْنَى جَائِزَةٌ عِنْدَنَا **إِذَا كَانَ الرَّاوِي عَالِمًا بِمَعْنَى الْكَلَامِ وَمَوْضُوعِهِ بَصِيرًا بِلُغَاتِ الْعَرَبِ وَوُجُوهِ خِطَابِهَا عَارِفًا بِالْفِقْهِ** وَاخْتِلَافِ الْأَحْكَامِ مُمَيِّزًا لِمَا يُحِيلُ الْمَعْنَى وَمَا لَا يُحِيلُهُ وَكَانَ الْمَعْنَى أَيْضًا ظَاهِرًا مَعْلُومًا وَأَمَّا إِذَا كَانَ غَامِضًا مُحْتَمِلًا فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ رِوَايَةُ الْحَدِيثِ عَلَى الْمَعْنَى وَيُلْزِمُ إِيرَادُ اللَّفْظِ بِعَيْنِهِ وَسِيَاقِهِ عَلَى وَجْهِهِ"(٢).

٤/ اهتمامهم بنقد المتون: ومعتمد نقد المتن يقوم على الفهم الدقيق؛ لأنه لا بد من مقارنة دلالة هذا المنقول بدلائل الكتاب والسنة، وبمقاصد الشرع وفقه أبوابه، وبدلالات العقل والحس، وهذا كله يحتاج إلى علم باللغة تعين على الفهم(٣).

الفرع الثاني: التكامل المعرفي والمنهجي بين علمي الحديث واللغة وتأثيرعلوم الحديث في علوم اللغة

علم الحديث وعلم اللغة علمان نقليان اشتبها كثيرا في نشأتهما وتطورهما، وقد مدّ علمُ الحديث علمَ اللغة بالكثير من المصطلحات، وألهمه كثيرا من الإجراءات والمنهجيات وطريقة التصنيف والتأليف، فعلم الحديث يعد المؤسس الحقيقي للقواعد والأسس التي ينطلق منها تدوين كل علم نقلي، ومن هذه الجهة فيعد تأثير علم الحديث في علم اللغة شكلا من أشكال التكامل المنهجي والمعرفي بينهما(٤).

---

(١) ينظر: حاجة العلوم الإسلامية إلى اللغة العربية، دراسة تأصيلية تطبيقية، للدكتور حسن يشو، ص (٣١٥)، من إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م.

(٢) ينظر: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (٢/٣٤).

(٣) ينظر: الإمتاع الشعري عند المحدثين، وفيه بيان عناية المحدثين باللغة للدكتور: حاتم العوني ص (١٢) - باختصار-.

(٤) ينظر: التكامل المنهجي بين علم اللغة وعلوم الحديث ص (٦٧٤)، بحث في الخلفية الأنثروبيلوجية لتشكل الدرس اللغوي العربي، للباحثة: بوعافية جيلالي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، وينظر في تعريف الجرح والتعديل كتاب: الجرح والتعديل لإبراهيم اللاحم ص (٣٠)، طبعة مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الثالثة ١٤٣٩هـ، ٢٠١٨م.

لقد تأثرت علوم اللغة بعلوم الحديث تأثرا ظاهرا، وتأثر علماء اللغة بمنهج علماء الحديث تأثرا أسهم في التكامل المعرفي بين العلمين، وفيما يلي رصد لأبرز سمات هذا التأثر والتأثير:

أولا: تأثر اللغويين بمصطلحات علم الحديث: فقد ظهرت لديهم وأثرت في منهجهم مصطلحات مأخوذة من علماء الحديث، ومثال ذلك: **مصطلح "الجرح والتعديل"**، والمقصود به: البحث في عدالة الراوي وضبطه، فالجرح معناه الطعن فيهما أو في أحدهما، والتعديل بضد ذلك، أي الحكم بتوافرهما(١)، وقد تأثر اللغويون بهذا العلم وأخذوا بحظ وافر منه ومن منهجه، واستعملوا مصطلحاته ومفرداته في رواياتهم، للأخذ بقضايا اللغة في مفرداتها، وفي روايتهم للشعر، وسيستفيد منه النحويون في الاحتجاج به لقواعدهم ... فأهل اللغة بما أنهم جامعون للغة من أفواه الرجال من الأعراب وغيرهم، من الشعراء والفصحاء؛ كان عليهم أن يستلهموا منهج المحدثين في الجرح والتعديل ليتحققوا من ضبط اللغة ... وعليهم أن يتفحصوا حال الرواة في الصدق والأمانة والضبط والحفظ والجمع، فالرواة فيهم المتساهل المتراخي فيضبطه، وفيهم الوضاع الذي يزيد في المتن وينتحل الشعر، وفيهم قليل الحفظ والعلم" (٢)، يقول الإمام ابن فارس -صاحب مجمل اللغة- عن أخذ اللغة عن الثقات وتحري ذلك، وترك من سواهم: " تؤخذ سماعاً من **الرُّواة الثقات ذوي الصدق والأمانة، ويُتَّقى المظنون**"، ثم قال: "فَلْيَتَحرّ آخذ اللغة وغيرها من العلوم **أهل الأمانة والثقة والصدق والعدالة**، فقد بلغنا من أمر بعض مشيخة بغداد مَا بلغنا"(٣).

وفي هذا يقول أحمد أمين: "هكذا انعكس منهج المحدثين على اللغة والأدب، وطبق اللغويون هذا المنهج بما يتفق وموضوعهم، وكانت مهمتهم الأولى جمع اللغة التي نطق بها العرب، أي الكلمات وتحديد معانيها، فرحل العلماء إلى البادية بمدادهم، وصحفهم يسمعون

(١) ينظر: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (٢/٣٤).

(٢) ينظر: التكامل المنهجي بين علم اللغة وعلوم الحديث ص (٦٧٥) بتصرف يسير، مصدر سابق.

(٣) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامه لابن فارس (ص: ٣٤)، نشر: محمد علي بيضون، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

ويكتبون، ورحل عرب البادية إلى الحضر ليؤخذ عنهم"[١]، وهكذا نشأ عندهم جرح وتعديل في تحديد مصادر مادتهم أولا، وفي نقلها من مصادرها ثانيا"[٢].

ثانيا: تأثر اللغويين بعلماء الحديث في طريقة ومنهج جمع اللغة ومادتها العلمية من مظانها: وهذا يتبين من خلال:

أ- **مو افقتهم لهم في طرق التحمل والأداء**: فقد وضع المحدثون قواعد مهمة، وصيغا دقيقة لتحمل الرواية وأدائها، وقد أخذ اللغويون هذه القواعد من المحدثين، يقول صلاح المنجد بعد حديثه عن جهود المحدثين في وضع قواعد التحمل والأداء: "أما اللغويون فلم يُعرَف عنهم أنهم أوجدوها أو وضعوها، بل إنهم أخذوها عن المحدثين، وحذوا حذوهم في أخذ اللغة وروايتها، وكان مما أخذه اللغويون طرق الأخذ والتحمل" [٣].

ومن صيغ التحمل والأداء التي تبع اللغويون فيها المحدثين: السماع من لفظ الشيخ أو العربي، والقراءة على الشيخ، والسماع على الشيخ، والإجازة والمكاتبة والوجادة، تقول الباحثة بوعافية جلالي: "إن أهل اللغة والأدب قد اتبعوا تلك الطرق المتعارف عليها في تحمل المادة اللغوية، والأدبية وأخذها، وهي طرق نجدها في كثير من كتب اللغة والأدب، كما عند ابن جني، والقالي، وهي تتبع منهج علماء الحديث، لأن هؤلاء قد سبقوا غيرهم في إيجادها والعمل بها، في نقل الحديث وروايته وتدوينه"[٤].

ب-**مو افقتهم لهم في الرحلة في طلب المادة العلمية**: كانت الرحلة في طلب الحديث من لوازم الطلب عند المحدثين، ومن منهجهم في التحصيل العلمي، فكانوا يقطعون الفيافي والقفار، ويتركون الأهل والدار في سبيل طلب الحديث، والبحث عن إسناده، وأهم أهداف هذه الرحلات العلمية: تحصيل الحديث، أو التثبت منه، أو طلب علو السند، أو مذاكرة العلماء، أو البحث عن حال الرواة، هذا وقد سار اللغويون على طريقة المحدثين في الرحلة في طلب المادة اللغوية، إلا أن رحلاتهم كانت من القرن الثاني إلى الرابع الهجري، كما أشار إلى

(١) ينظر: ضحى الإسلام لأحمد أمين (٢/٢٥٢).

(٢) ينظر: حاجة العلوم الإسلامية إلى اللغة العربية (ص: ٣٢٢) مصدر سابق.

(٣) ينظر: إجازات السماع في المخطوطات القديمة لصلاح المنجد، بحث في مجلة المخطوطات الغربية، المجلد الأول مايو ١٩٥٥م. ص (٢٣٢).

(٤) ينظر: التكامل المنهجي بين علم اللغة وعلوم الحديث ص (٦٨٠) بتصرف يسير.

ذلك الرافعي[١]، ولم تكن أهداف اللغويين في الرحلة ببعيدة عن أهداف المحدثين، فكانت أهدافهم: تقويم اللسان، واكتساب السليقة السليمة، وجمع المادة اللغوية الصحيحة مشافهة، وأخذا من الأفواه مباشرة، وبهذا يتبين مدى تأثر اللغويين بالمحدثين في أمر الرحلة[٢].

ثالثا: تأثر اللغويين بالمحدثين في التصنيف، وطرق التأليف:

ألف المحدثون كتبهم، وتفننوا في خدمتها وتصنيفها وتقسيمها، فألفوا المسانيد، والسنن والمصنفات، والمعاجم والأمالي والمجالس، وغيرها، تقول الباحثة بوعافية جلالي: "حين نمعن النظر في كتب مؤلفات اللغويين فإننا نجدها قد تأثرت إلى حد بعيد بما وُجد عند المحدثين، فقد ألف اللغويون كثيرا من مؤلفاتهم على هدي علماء الحديث، ونجد أثر ذلك في العديد من المؤلفات التي تحمل أسماء مشابهة لتلك العناوين في كتب الحديث، بل إننا نجد أنهم تأثروا بهم حتى في منهج التأليف في تقسيم الكتب إلى أبواب وأجزاء، وفي أسلوب الكتابة وإيراد القضايا المختلفة، بل إن المعاجم اللغوية قد تأثرت إلى حد بعيد بعمل المعاجم في علم الحديث، حينما رتبت مادتها بشكل من الأشكال بحسب الأسماء على ترتيب حروف المعجم"[٣].

ومما شابه فيه اللغويون المحدثين في التصنيف والتأليف -على سبيل المثال واختصار-: كتب الطبقات، وكتب الصحاح، والأمالي.

رابعا: كثير من أئمة المحدثين كانوا علماء باللغة، ولهم إسهامات جليلة في خدمتها:

ومنهم على سبيل المثال: سعيد بن جبير (ت٩٥هـ)، وعكرمة مولى ابن عباس (ت١٠٤هـ)، ومجاهد بن جبر (ت١٠٤هـ)، وهؤلاء الثلاثة ذكرهم ياقوت في الأدباء، ومنهم أيضا: عامر بن شراحيل الشعبي (ت بعد ١٠٠هـ)، والحسن البصري (ت١١٠هـ)، وأبو عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ)، وعبد الرحمن بن هرمز بن الأعرج (ت١١٧هـ)، وقتادة بن دعامة (ت١١٧هـ)، وسماك بن حرب (ت ١٢٣هـ)، وغيرهم الكثير الكثير[٤].

(١) ينظر: تاريخ آداب العرب للرافعي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، سنة ٢٠٠٠.

(٢) للمزيد ينظر: التكامل المنهجي بين علم اللغة وعلوم الحديث ص (٦٨٠-٦٨٣).

(٣) ينظر: التكامل المنهجي بين علم اللغة وعلوم الحديث ص (٦٨٤).

(٤) ينظر: الإمتاع عند المحدثين، من ص: ١٧، وللاستزادة ينظر في الموضع نفسه وما بعده من الكتاب.

الفرع الثالث: أثر العلاقة البينية في البحث العلمي بين علمي الحديث واللغة، و إفادة علوم الحديث من علوم اللغة

العلاقة البينية بين علمي الحديث واللغة العربية علاقة وثيقة ضرورية، فلا يمكن للباحث في علم الحديث أن يهمل اللغة أو يغفلها، فهي وسيلة فهم النصوص، وتحقيق الروايات، وضبط الألفاظ، وبها تستنبط المعاني، ولبيان أهمية اللغة وحاجة علم الحديث إليها، وإفادتها منها أورد عددا من النقاط يتبين من خلالها أهمية هذا التكامل المعرفي بين علمي الحديث واللغة العربية:

أولا: إفادة علم الحديث من علوم اللغة في ضبط الروايات، وتصحيح اللحن الواقع فيها:

كان لعلوم اللغة العربية دور كبير في ضبط الروايات والتحقق من سلامة متونها من اللحن أو التحريف، وأذكر في هذه النقطة مثالين تطبيقيين بهما يتضح التداخل بين علمي الحديث واللغة، وتبرز أهمية التكامل المعرفي بين العلمين:

المثال الأول: إمام اللغة أحمد بن فارس بن زكريا القزويني أبو الحسين، (ت: ٣٩٥هـ) ألف كتاب "مأخذ العلم"، عرض فيه لأصول التلقي والسماع للحديث النبوي، وتكلم فيه عن صيغ تحمل الحديث وأدائه، ثم عرض لمسألة مهمة وقضية كبيرة متعلقة بنصوص السنة النبوية، بوّب لها **بباب القول في اللحن**، وجوهر هذه المسألة: إذا روى المحدث فلحن في حديثه -بأن يخطئ في العربية، أو يخالف قواعد الإعراب-، فهل للسامع أن يحدث عنه لحنا كما سمعه؟ أم يرويه معربا صحيحا مقوما إذا كان عالما بالعربية؟ ثم يشير ابن فارس إلى أنه من المعلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفصح العرب وأعربها، وقد نزهه الله عز وجل عن اللحن، وإذا كان كذا فالوجه أن يروى كلامه مهذباً من كل لحن، ثم يذكر ابن فارس صنيع شيخه أبي الحسن علي بن إبراهيم القطان وكيفية تصرفه في هذه المسألة، فيقول عن شيخه أنه كان يكتب الحديث على ما سمعه لحناً، ويكتب على حاشية كتابه: (كذا قال)، يعني الذي حدثه، (والصواب كذا)، ثم يعلق ابن فارس على صنيع شيخه مستحسنا إياه فيقول: (وهذا أحسن ما سمعت في هذا الباب)، وذلك أن شيخه لم يسكت على الخطأ؛ بل بينه، وأيضا لم يبدل في أصل الكتاب، بل ينبه عليه في الحاشية بما يوضح الصواب، ثم بعد ذلك كأن ابن فارس يميل إلى إثبات الصواب في أصل الكتاب وتغيير اللحن الواقع، ويقول معللا

ذلك: معلومٌ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يلحن، فينبغي أن تؤدى مقالته عنه في صحةٍ كما سمع منه[١]، هذا الذي ذهب إله ابن فارس لم يصرَّحْ به في كتب المصطلح القديمة، ولا يوجد في كتب التحقيق؛ مما يعد سبقا من ابن فارس -العالم الضليع- في مسألة القول بإثبات الصواب في الأصل، وهذا مما تجدر الإشارة إليه، ويحسن التنبيه عليه.

المثال الثاني: دور اليونيني وابن مالك في ضبط ألفاظ صحيح البخاري:

اليونيني هو: الإِمَامُ **الْمُحَدِّثُ** الْفَقِيهُ الأَوْحَدُ بَقِيَّةُ السَّلَفِ شَرَفُ الدِّينِ أَبُو الْحُسَيْنِ أَبُو الإِمَامِ الرَّبَّانِيُّ الْفَقِيهُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْيُونِينِيّ الْحَنْبَلِيّ، قال عنه الذهبي: شَيْخُنَا وَمُفِيدُنَا وُلِدَ فِي رَجَبٍ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ، **اسْتَنْسَخَ صَحِيحَ الْبُخَارِيِّ وَحَرَّرَهُ، حَدَّثَنِي أَنَّهُ قَابَلَهُ فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ وَأَسْمَعَهُ إِحْدَى عَشْرَةَ مَرَّةً**، كَانَ شَيْخًا مَهِيبًا مُنَوَّرًا حُلْوَ الْمُجَالَسَةِ كَثِيرَ الإِفَادَةِ **قَوِيَّ الْمُشَارَكَةِ فِي الْعُلُومِ**[٢] حَسَنَ الْبِشْرِ مَلِيحَ التَّوَاضُعِ، دَخَلَ فِي أَوَّلِ رَمَضَانَ سَنَةَ إِحْدَى وَسَبْعِ مِائَةٍ خَزَانَةَ الْكُتُبِ بِبَعْلَبَكَّ، فَدَخَلَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مُضْطَرِبُ الْعَقْلِ فَضَرَبَهُ بِسِكِّينٍ صَغِيرَةٍ فِي دِمَاغِهِ، بَقِيَ أَيَّامًا وَتُوُفِّيَ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ[٣]، **جمع اليونيني عدة نسخ للبخاري، واعتمد خصوصا على رواية أبي ذر الهروي، ثم عرض نص صحيح البخاري، على جماعة من العلماء، في مجالس قراءة ومقابلة شملت اللغويين والنحويين والمحدثين، وكان من هؤلاء العلماء الأجلاء شيخه إمام اللغة الإمام ابن مالك**، وهو من أشهر النحاة الذين عرفهم تاريخ النحو العربي في القرن السابع للهجرة وما بعده، وهو: أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي، ولد سنة ستمائة للهجرة، وتوفي في دمشق سنةَ اثنتين وسبعين وست مئة للهجرة، بعدما ترك مصنفات في العربية ونحوها، نالت شهرة عريضة، وشغل بها الدارسون من بعده، وظلت أساسًا لأكثر الدراسات النحوية الى اليوم، وهو إمام النحاة وحافظ اللغة، تصدر لإقراء العربية، وصرف همته إلى إتقان لسان العرب؛ حتى بلغ فيه الغاية، وحاز قصب

(١) ينظر: مأخذ العلم لابن فارس (ص: ٣٧، ٣٨) تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، نشر: دار البشائر الإسلامية، الطبعة: الثانية ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

(٢) هذا مثال على التكامل المعرفي عند علماء الأمة، وأن لهم السبق في الدراسات البينية.

(٣) ينظر: معجم الشيوخ الكبير للذهبي (٢/٤٠)، تحقيق: الدكتور محمد الحبيب الهيلة، نشر: مكتبة الصديق، الطائف، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

السبق، وأربى على المتقدمين، وكان إماما في القراءات وعللها، وأما اللغة فكان إليه المنتهى في الإكثار من نقل غريبها، والاطلاع على وحشيها، وأما النحو والتصريف فكان فيهما بحرا لا يجارى، وحبرا لا يبارى. وأما أشعار العرب التي يستشهد بها على اللغة والنحو فكانت الأئمة الأعلام يتحيرون فيه، ويتعجبون من أين يأتي بها! وكان نظم الشعر سهلا عليه: رجزه، وطويله، وبسيطه، وغير ذلك؛ هذا مع ما هو عليه من الدين المتين، وصدق اللهجة، وكثرة النوافل، وحسن السمت، ورقة القلب، وكمال العقل، والوقار والتؤدة[١].

يقول القسطلاني -في مقدمة كتابه إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري- عن نسخة اليونيني وإتقانها:" ثم وقفت في يوم الاثنين ثالث عشر جمادى الأولى سنة ست عشرة وتسعمائة بعد ختمي لهذا الشرح على المجلد الأخير من أصل اليونيني المذكور، ورأيت بحاشية ظاهر الورقة الأولى منه ما نصه: "سمعت ما تضمنه هذا المجلد من صحيح البخاري رضي الله عنه بقراءة سيدنا الشيخ الإمام العالم الحافظ المتقن شرف الدين أبي الحسين علي بن محمد بن أحمد اليونيني رضي الله عنه وعن سلفه، **وكان السماع بحضرة جماعة من الفضلاء ناظرين في نسخ معتمد عليها، فكلما مرّبهم لفظ ذو إشكال بيّنت فيه الصواب وضبط على ما اقتضاه علمي بالعربية**، وما افتقر إلى بسط عبارة وإقامة دلالة أخّرت أمره إلى جزء أستوفي فيه الكلام ما يحتاج إليه من نظير وشاهد ليكون الانتفاع به عامًا والبيان تامًّا إن شاء الله تعالى. وكتبه محمد بن عبد الله بن مالك حامدًا لله تعالى"[٢]، وينقل أيضا عن نسخة وقف عليها لليونيني فيقول: "ثم رأيت بآخر الجزء المذكور ما نصه: بلغت مقابلةً وتصحيحًا وإسماعًا بين يدي شيخنا شيخ الإسلام حجة العرب مالك أزمة الأدب الإمام العلامة أبي عبد الله بن مالك الطائي الجياني أمدّ الله تعالى عمره في المجلس الحادي والسبعين، وهو يراعي قراءتي ويلاحظ نطقي، فما اختاره ورجحه وأمر بإصلاحه أصلحته وصحّحت عليه، وما ذكر أنه يجوز فيه إعرابان أو ثلاثة فأعملت ذلك على ما أمر، ورجح.." [٣].

---

(١) ينظر في ترجمته: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي (١/١٣٠)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: المكتبة العصرية - لبنان / صيدا.

(٢) ينظر: إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري للقسطلاني (١/٤١)، نشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ

(٣) ينظر: إرشاد الساري للقسطلاني (١/٤١).

هذا، وقد صنف ابن مالك -رحمه الله- كتابه: شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، تصدى فيه للمسائل النحوية التي عنّت له أثناء مقابلة مخطوطات صحيح البخاري، وعضدها بالشواهد والأدلة، يقول القسطلاني عن سبب تأليف ابن مالك لهذا الكتاب: "كان الجمال بن مالك لما حضر عند المقابلة المذكورة إذا مر من الألفاظ ما يتراءى أنه مخالف لقوانين العربية قال للشرف اليونيني: هل الرواية كذلك؟ فإن أجاب بأنه منها شرع ابن مالك في توجيهها حسب إمكانه، ومن ثم وضع كتابه المسمى بـ"شواهد التوضيح"[(١)].

قلت: ومما سبق يتبين التكامل المعرفي بين علمي الحديث، واللغة العربية، وأن علم الحديث أفاد من اللغة في مسألة ضبط ألفاظ الروايات وتوجيهها، وإصلاح اللحن الواقع في بعضها، والحمد لله رب العالمين.

ثانيا: إفادة علم الحديث من علوم اللغة في معرفة غريب الحديث:

علم غريب الحديث له تعلق ضروري بعلم اللغة إذْ يبحث عما وقع في متون الأحاديث من الألفاظ الغامضة البعيدة من الفهم لقلة استعمالها، هذا فن مهم يقبح جهله بأهل الحديث خاصة ثم بأهل العلم عامة، والخوض فيه ليس بالهين، والخائض فيه حقيق بالتحري جدير بالتوقي [(٢)].

كان النبي -صلى الله عليه وسلم- أفصح الناس، وكان يخاطب الوفود على مختلف ألسنتهم بما يفهمونه، فلما كانت الفتوحات، ودخل في الإسلام كثير من العجم، ونشأ جيل تشوب العجمة لسانهم؛ خيف على الحديث النبوي أن يستغلق فهمه على بعض الناس، فانبرى جماعة من أتباع التابعين، فتكلموا في غريب الحديث، وصنف فيه كل من: أبو عبيدة معمر بن المثنى، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وابن قتيبة، والزمخشري، وابن الأثير، وغيرهم.

وهذا يبين أيضا التكامل المعرفي بين علمي الحديث، واللغة العربية، وأن علم الحديث أفاد من اللغة في مسألة غريب الحديث، وبيان ما يمكن أن يخفى عن الناس من ألفاظ الحديث النبوي.

---

(١) ينظر: إرشاد الساري للقسطلاني (١/٤٠، ٤١).

(٢) ينظر: مقدمة ابن الصلاح (ص: ٣٧٥)، مصدر سابق.

ثالثا: إفادة علم الحديث من علوم اللغة في نقد متن الحديث:

وهذه مسألة مهمة، حاول بعض المستشرقين الطعن في السنة من خلالها، واتهموا المحدثين بأنهم لا يهتمون بنقد متون السنة، وهذا افتراء ظاهر، وادعاء كاذب، فقد استفاد علم الحديث من علوم اللغة في نقد متون السنة، وفيما يلي بيان طرف من ذلك:

وضع النقاد ضوابط يستخدمونها في نقد متون السنة، ومن ذلك القرائن التي وضعوها لمعرفة الوضع في الحديث، وجملة من هذه القرائن لها تعلق مباشر بعلم اللغة - محل بحثنا-، فمن هذه القرائن:

١- سماجة المعنى وسخافته، وركاكة اللفظ والمعنى، فمن المعلوم أن حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- من جوامع الكلم، وهو من قبيل الفصل الذي ليس بالهزل، يفيض بالمعاني العظيمة، وينضح بالحكم البالغة، فإن جاء اللفظ ركيكا والمعنى سخيفا؛ فهذا أكبر دليل على الوضع والكذب، ومن أمثلته التطبيقية قول أحد الكذابين في الموضوعات: "لو كان الأرز رجلا لكان حليما، وما أكله جائع إلا أشبعه"، وقد علق عليه ابن القيم قائلا: "فهذا من السمج البارد، الذي يصان عنه كلام العقلاء فضلا عن كلام سيد الأنبياء"(١).

٢- ركاكة المعنى: ومن ذلك الإفراط بالوعيد الشديد على الأمر الصغير، أو بالوعد العظيم على الفعل اليسير، وهذا كثير في حديث القُصَّاص، كقولهم: من صلى كذا فله سبعون دارا، في كل دار سبعون ألف بيت، في كل بيت سبعون ألف سرير، على كل سرير سبعون ألف جارية، ومن ذلك أحاديث فضل الباذنجان والأرز والعدس، فإنها تنبو عما عُرف من مضمون الأحاديث الصحيحة، وهدي الرسالة عامة(٢).

هذا، وقد أفاد علم الحديث من علوم اللغة في كثير من الفروع، لولا طول المقام لذكرتها، ولكن هنا أشير إليها، فمن ذلك إفادته من علوم اللغة فيما يتعلق بعلم **مختلف الحديث ومشكله**، كذلك فيما يتعلق **برواية الحديث بالمعنى** فقد اشترطوا فيمن يروي الحديث بالمعنى أن يكون عالما بالعربية عارفا بمدلولات الألفاظ ومقاصدها، وكذلك أفاد علم

(١) ينظر: حاجة العلوم الإسلامية إلى اللغة العربية (ص: ٣١٧، ٣١٨)، للدكتور حسن يشو -رحمه الله-، مصدر سابق.

(٢) ينظر: حاجة العلوم الإسلامية إلى اللغة العربية (ص: ٣١٨، ٣١٩) د. حسن يشو، مصدر سابق.

الحديث من علم اللغة فيما يتعلق **باختصار الحديث**، وفيما يتعلق **بالبلاغة النبوية**، فقد أظهر علم اللغة بلاغة أقوال النبي -صلى الله عليه وسلم-.

ويتبين مما سبق أهمية التكامل المعرفي بين هذين العلمين الشريفين الحديث واللغة، والحمد لله رب العالمين.

المطلب الثاني: علاقة السنة النبوية بعلم التاريخ

وفيه تمهيد وثلاثة فروع:

تمهيد:

إن العلاقة بين علم الحديث وعلم التاريخ علاقة وثيقة، وكان لعلماء الحديث الأثر الكبير في إرساء أصح وأرقى وأعلى قواعد الإثبات التاريخي، والتقعيد لعلم التاريخ، بل كان لعلم الحديث أثر كبير في تطور الدراسات التاريخية، لا سيما الأثر الكبير في منهج نقد الروايات التاريخية.

وكذلك كان لعلم التاريخ الأثر الكبير في علم الحديث، فقد اعتمد علماء الحديث على التاريخ اعتمادا كبيرا في معرفة صحيح الأخبار من سقيمها، ومعرفة صدق الراوي من كذبه، وذلك عبر الاهتمام بمعرفة تواريخ الرواة ومواليدهم ووفياتهم، ومقادير أعمارهم، ونحو ذلك، يقول سفيان ابن عيينة: "لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ"[(١)]، فمعرفة هذه التواريخ هي أساس إثبات السماع أو نفيه، وأساس إثبات المعاصرة وإمكانية اللقيا أو نفيها، لذا كانت العلاقة بين علمي الحديث والتاريخ علاقة ضرورية وثيقة، وكان التكامل المعرفي بين العلمين من الأهمية بمكان.

الفرع الأول: أهمية ومظاهر التكامل المعرفي والمنهجي بين علمي الحديث والتاريخ

إن التكامل المعرفي بين علمي الحديث والتاريخ كان له أثر كبير في إثراء كلا العلمين، وهما عِلمان نقليان اشتبها كثيرا في نشأتهما وتطورهما، وقد مدَّ علمُ الحديث علمَ التاريخ بالكثير من المصطلحات، وألهمه كثيرا من الإجراءات والمنهجيات وطريقة التصنيف والتأليف،

(١) ينظر: مقدمة ابن الصلاح (ص: ٤٨٤) مصدر سابق.

فعلم الحديث يعد المؤسس الحقيقي للقواعد والأسس التي ينطلق منها تدوين كل علم نقلي، ومن هذه الجهة فيعد تأثير علم الحديث في علم التاريخ شكلا من أشكال التكامل المنهجي والمعرفي بينهما، وعلم التاريخ لطالما اعتمد عليه المحدثون في معرفة صحيح الأخبار من سقيمها، ومعرفة صدق الراوي من كذبه، يقول الحافظ العراقي في هذا الشأن: "الحكمةُ في وضعِ أهلِ الحديثِ التاريخَ لوفاةِ الرواةِ ومواليدهِمْ وتواريخِ السماعِ وتاريخِ قدومِ فلانٍ مثلاً البلدَ الفلانيَّ؛ ليختبروا بذلكَ مَنْ لَمْ يعلموا صحةَ دعواه، كما روينا عنْ سُفيانَ الثوريّ، قالَ لَمَّا استعملَ الرواةُ الكَذِبَ، استعملنا لهمُ التاريخَ أو كما قالَ وروينا في تاريخِ بغدادَ للخطيبِ، عنْ حسانِ بنِ يزيدَ، قالَ لَمْ نستعنْ على الكذابِيْنَ بمثلِ التاريخِ نقولُ للشيخِ سنةَ كمْ وُلِدتَ؟ فإذا أقرَّ بمولدِهِ عرفنا صِدقَهُ من كذبِهِ وقالَ حَفْصُ بنُ غِيَاثٍ القاضي إذا اتَّهمتُمُ الشَّيخَ فحاسِبُوهُ بالسِّنِّيْنِ - بفتحِ النونِ المشددةِ تثنيةُ سِنٍّ وهوَ العُمُرُ - يريدُ احْسِبُوا سِنَّهُ وسِنَّ مَنْ كَتَبَ عنهُ"[1].

هذا وإن التكامل المعرفي بين علمي الحديث والتاريخ له مظاهر، منها:

١/ اشتراك العلمين في جملة كبيرة من المسائل، كمسألة الاتصال والانقطاع في الإسناد وما يندرج تحتها من معرفة تاريخ وفاة الشيخ وتاريخ ولادة التلميذ، ومسألة إمكانية اللقاء والمعاصرة، ومسألة إثبات السماع ونفيه.

وكذلك اشتراك العلمين في **قضايا الجرح والتعديل**، وما يتبعها، من معرفة الثقات والضعفاء من الرواة والإخباريين[2].

وكذلك اشتراك العلمين في **معرفة طبقات الرواة** من حيث سنة الولادة والوفاة، ويزيد التاريخ بالحديث عن بيان الحوادث والأخبار، ومن فوائد معرفة الطبقات حصول الأمن من تداخل الأسماء المتشابهة ومعرفة العنعنة والتدليس ونحو ذلك.

٢/ ومن مظاهر التكامل المعرفي بين علم الحديث والتاريخ ظهور مؤلفات يتجاذبها العلمان ويشتركان في منهجية تأليفها، ومن ذلك:

---

(١) ينظر: شرح التبصرة والتذكرة للعراقي (٢/٢٩٤) تحقيق: عبد اللطيف الهميم - ماهر ياسين فحل، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ-٢٠٠٢ م.

(٢) ينظر: علم الحديث وعلاقته بالتاريخ (ص: ١٢٠، ١٢١) باختصار، والبحث للدكتور محمد الغامدي، وهو بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية في كلية الشريعة، جامعة أم القرى / ٢٠١٥.

١- كتب **المغازي والسير**: فهذا الضرب من التأليف يعنى بحقبة تاريخية مهمة، وهو زمن البعثة الشريفة، وكانت هذه الفترة محل عناية المحدثين والمؤرخين على حد سواء، ومما صنف في هذا مما يتجاذبه الحديث والتاريخ: كتاب المغازي للواقدي، والمغازي لموسى بن عقبة، وسيرة ابن إسحاق، والسيرة النبوية لابن هشام، وكلها مطبوعة محققة.

٢- كتب **الصحابة**: ومما صنف فيها على سبيل المثال: فضائل الصحابة للنسائي، ومعجم الصحابة لابن قانع، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم، والاستيعاب لابن عبد البر، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، وهي أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر، وكلها مطبوعة محققة.

٣- كتب **الأنساب**: مما يعنى بتراجم الرواة والأعلام، فبه تعرف الأسماء والألقاب والكنى ومما ألف في ذلك: أنساب الأشراف للبلاذري (ت ٢٧٩ هـ)، والإيناس بعلم الأنساب للوزير المغربي (ت: ٤١٨هـ)، والأنساب للسمعاني (ت: ٥٦٢هـ). وكلها مطبوعة محققة.

٤- كتب **الطبقات**: يقول السخاوي عن علم الطبقات: "وبينه وبين التاريخ عموم وخصوص وجهي، فيجتمعان في التعريف بالرواة، وينفرد التاريخ بالحوادث والطبقات، بما إذا كان في البدريين مثلا من تأخرت وفاته عمن لم يشهدها ; لاستلزامه تقديم المتأخر الوفاة، وقد فرق بينهما بعض المتأخرين بأن التاريخ ينظر فيه بالذات إلى المواليد والوفيات، وبالعرض إلى الأحوال، والطبقات ينظر فيها بالذات إلى الأحوال، وبالعرض إلى المواليد والوفيات، ولكن الأول أشبه"[(١)]، ومن المؤلفات في هذا العلم: الطبقات الكبرى لابن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، والطبقات للإمام مسلم (٢٦١هـ)، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم (٤٣٠هـ)، وغيرها، وكلها مطبوعة محققة.

وغير ذلك من فنون المؤلفات التي يتجاذبها ويشترك في منهجية تأليفها المحدثون والمؤرخون، ككتب البلدانيات، والوفيات، والمشيخات[(٢)].

(١) ينظر: فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للسخاوي (٣٨٩/٤) تحقيق: علي حسين علي، نشر: مكتبة السنة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٢) ينظر: علم الحديث وعلاقته بالتاريخ (ص: ١٢٣ - ١٢٩) باختصار، مصدر سابق.

٣/ ومن مظاهر التكامل المعرفي بين هذين العلمين: ظهور علماء جمعوا بين العلمين وبرزوا فيهما معا، وأسهموا بنتاج علمي في كلا العلمين، منهم على سبيل المثال:

١- الحافظ أبو حاتم محمد بن حبان البستي (٣٥٤هـ)، فقد ألف: الثقات، والمجروحين، ومشاهير علماء الأمصار، وكلها مطبوعة.

٢- الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (٤٦٠هـ)، وألف: تاريخ أصبهان، وحلية الأولياء، وهما مطبوعان.

٣- الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ)، وألف: تاريخ بغداد، والمؤتلف والمختلف، وموضح أوهام الجمع والتفريق، وكلها مطبوعة، وغيرها الكثير.

٤- الحافظ أبو عمر يوسف ابن عبد البر (٤٦٣هـ)، وألف: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، والإنباه على قبائل الرواة، وهما مطبوعان.

وغيرهم كثير، كابن الجوزي، والذهبي، وابن كثير، وابن حجر، والسخاوي، والسيوطي، وغيرهم[١].

(١) ينظر: علم الحديث وعلاقته بالتاريخ (ص: ١٣٠ - ١٣٥) باختصار، مصدر سابق.

الفرع الثاني: العلاقة البينية في البحث العلمي بين علمي الحديث والتاريخ، و أثر علم الحديث في علم التاريخ الإسلامي

يقول الدكتور بشـــار عواد معروف: "وإن كان الحديث قد أثر بعيدا في كثير من العلوم الإسلامية، فإن تأثيره في علم التاريخ عند المسلمين أقوى وأبعد"(١).

وقد ظهر هذا التأثير في مظاهر رئيسـية يتبين منها مدى هذا التأثير ومداه في بناء وتطوير الكتابة التاريخية عند المسلمين، ومن أبرز مظاهر هذا التأثير:

١- **منهج رواية الأخبار بالإســناد**: لما كان معظم المؤرخين الأوائل محدثين ولما كانت العناية بعلم الحديث هي التي أدت إلى الدراســات التاريخية؛ لذلك انتقل الإســناد إلى أهل التاريخ بشـكل واضح، ولعل ذلك يبدو أكثر وضـوحا في كتب الطبقات والتراجم وتواريخ المدن وغيرها، ومن أجل ضـبط الرواية والإسـناد اسـتعمل المحدثون صـيغا للتحمل والأداء بلغت الذروة في دقتها، وحينما يطالع الباحث كثيرا من كتب التاريخ بكافة صـوره يلاحظ اهتمام المؤرخين بالإسناد، ومن ثَم انتقال هذه الصيغ والمراتب إليهم"(٢).

على إن الإسـناد في التاريخ لم يبلغ ما بلغه في الحديث إذ نرى في بعض الأحيان تسـاهلا في الأسـانيد ورواتها، فليس للتاريخ تلك الأهمية التي صـارت للحديث من جراء دخوله كعامل من عوامل التشريع فأدى ذلك إلى بعض التساهل في أسانيد الروايات التاريخية(٣).

٢- **نشوء علم الرجال والتراجم والطبقات**: إن اعتماد المحدثين منهج الإسناد في الرواية قد أدى إلى نشــوء فرع من فروع العلم عرف عندهم باســم علم الرجال(٤)، وقد أطلق بعض المؤلفين على كتبهم في الرجال اســم "التاريخ"، منذ فترة مبكرة ترجع إلى النصــف الأول من القرن الثالث الهجري، حيث أطلقه البخاري على بعض مصــنفاته في الرجال، وهي التاريخ

(١) ينظر: بحث بعنوان: مظاهر تأثير علم الحديث في علم التاريخ عند المسـلمين، للدكتور بشـار عواد معروف، (ص ٢٢)، البحث منشور في مجلة الأقلام، بغداد، الجزء الخامس، السنة الأولى، ١٣٨٤هـ-١٩٦٥م.

(٢) ينظر: المصدر السابق (ص: ٢٥) باختصار.

(٣) ينظر: مظاهر تأثير علم الحديث في علم التاريخ عند المسلمين لبشار عواد (ص: ٢٧).

(٤) ينظر: نقد الحديث بالعرض على الوقائع والمعلومات التاريخية (ص: ٤٦) للدكتور سـلطان العكايلة، نشـر: دار الفتح بالأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

الكبير، والتاريخ الأوسط، كذلك فعل معاصره علي بن المديني، حيث سمى كتابه في الرجال بالتاريخ، وتابعهم في ذلك بعض المؤلفين التالين[١]، وغني عن القول إن هذه الفروع إنما نشأت بتأثير علم الحديث، لا سيما وأنها الأدوات التي يعرف بواسطتها صحة السند أو ضعفه، ويضيق المجال عن تتبع كافة فروع هذا العلم وأجزائه، ومن المهم أن نبين أن المحدثين قد نهجوا في ترتيب مواد هذا العلم مناهج شتى ودقيقة حتى قلدهم غيرهم في طرائق تصنيفهم في هذا العلم، وترتيب محتويات تصانيفهم[٢].

٣- **منهج التحقق من عدالة رواة الأخبار**: فقد استفاد المؤرخون من علم الجرح والتعديل في تمييز الرواة الثقات من الضعفاء، فنجد بوضوح تأثير علم الحديث في التاريخ من خلال سير المؤرخين على هدي المحدّثين في وضع شروط للمؤرخ، وذلك بالإفادة من منهج المحدثين في شروطهم في رواية الحديث، وقبول رواياته، ومجمل هذه الشروط تكمن في العدالة والضبط والتحري في النقل، والأمانة في الأداء، والمعاني العامة لهذه الشروط مشتركة بين المحدّث والمؤرخ[٣]، وقد تحدّث الامام السبكي عن تلك الشروط في كتابه "قاعدة في المؤرخين" حيث قال نقلا عن والده:" يشترط في المؤرخ: الصدق، وإذا نقل يعتمد اللفظ دون المعنى، وأن لا يكون ذلك الذي نقله أخذه في المذكرة وكتبه بعد ذلك، وأن يسمى المنقول عنه، فهذه شروط أربعة فيما ينقله"[٤].

ومن الأهمية بمكان أن يكون المؤرخ عارفا بالتاريخ وأحداثه ووقائعه، ما ثبت منها أو كان منتحلا، وما جاء من طريق العدول الثقات، أو ما كُتب تحت سلطة الرهبة أو في ظل الطمع ورجاء النوال[٥].

(١) ينظر: بحوث في تاريخ السنة المشرفة، لأكرم العمري (ص٢٠٦)، نشر: بساط – بيروت، الطبعة الرابعة.

(٢) ينظر: نقد الحديث بالعرض على الوقائع والمعلومات التاريخية للعكايلة (ص: ٤٦).

(٣) ينظر: بحث بعنوان: علوم الحديث وعلاقتها بعلم التاريخ للدكتور عبد العزيز الكبيسي، ص: ١٩ جامعة الإمارات العربية المتحدة.

(٤) ينظر: قاعدة في المؤرخين، لتاج الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، (ص: ٨٦) تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، نشر: دار البشائر – بيروت، الطبعة: الخامسة، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

(٥) ينظر: نقد الحديث بالعرض على الوقائع التاريخية للعكايلة (ص: ٢٣، ٢٤).

٤- **التمييز بين الروايات الصحيحة والضعيفة**: يقول الدكتور بشار عواد معروف: "يلاحظ الباحث تشابها في طريقة النقد المنصبّة على الإسناد والمستعملة فيها نفس المصطلحات التي يستعملها المحدثون كأن يقولون عن حادثة معينة أن راويَها كذاب، أو غير ثقة، أو ثقة، أو يقولون إن سند هذا الخبر منقطع أو مرسل وما إلى ذلك"[١].

الفرع الثالث: التكامل المعرفي والمنهجي بين علمي الحديث والتاريخ و أثر علم التاريخ في علم الحديث:

كما أن علم الحديث كان له تأثير مباشر في علم التاريخ، فكذلك كان لعلم التاريخ أثر ظاهر في علم الحديث، بل إن حاجة علم الحديث لعلم التاريخ حاجة ضرورية -من خلالها يتبين لنا أهمية التكامل المعرفي والمنهجي بين علمي الحديث والتاريخ-، وفيما يلي رصدٌ لأهم الآثار والمظاهر التي تبرز تأثير علم التاريخ في علم الحديث:

١- **أثر التاريخ فيما يتعلق بكذب الرواة**، وفضح الكذابين منهم: فعندما ينظر المحدّث في حديث الرجل يستحضر زمانه وعمره من مولده إلى وفاته، وبلده، ورحلاته والبلدان التي دخلها، ومن لقيه بها من الشيوخ والأقران وأخبار شيوخه وأقرانه وتواريخهم ورحلاتهم، وكثيرا ما يكتشف المحدّث كذب الراوي باعتبار ذلك[٢]، وهذا ما قصده الإمام سفيان الثوري رحمه الله تعالى في قوله "لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ[٣]، والكشف عن حالات ادعاء السماع، مما له أهمية كبيرة في الحكم على الرواية بالوضع، حيث جعل النقاد من أمارات ذلك: أن يكون تاريخ مولد الراوي بعد وفاة شيخه الذي ادعى السماع منه، ولهذا فإن كتب تواريخ الوفيات تعد من أحسن ما يمكن الاعتماد عليه في كشف ذلك، وهتك ستر الكذابين، الأمر الذي جعل لهذه الكتب قيمة بالغة في نقد الأسانيد، ومن تأمل كتب الموضوعات لا سيما كتاب الموضوعات لابن الجوزي يجد الشواهد على ذلك كثيرة[٤]،

(١) ينظر: مظاهر تأثير علم الحديث في علم التاريخ عند المسلمين لبشار عواد (ص: ٢٦) -مصدر سابق-.
(٢) ينظر: علوم الحديث وعلاقتها بعلم التاريخ للكبيسي (ص: ١٧).
(٣) ينظر: مقدمة ابن الصلاح (ص: ٤٨٤) مصدر سابق.
(٤) ينظر: نقد الحديث بالعرض عل الوقائع والمعلومات التاريخية للعكايلة (ص: ٤٩).

فللتاريخ أثر كبير في الكشـــف عمن عُرِف بالكذب من رواة الأحاديث، وكان أداة المحدثين في فضح الكذابين[١].

٢- **أثر التاريخ في معرفة الاتصـــال والانقطاع في الأســـانيد، ومعرفة مواليد الرواة ووفياتهم:** وضع العلماء لقبول الحديث خمسة شروط، أولها: اتصال السند الذي يعني أن كل واحد من رواته قد ســـمعه من الذي فوقه في الإســـناد بطريق من طرق التحمل المعتبرة، ومما يساعد على معرفة الاتصال أو عدمه معرفة تواريخ مواليد الرواة، فهي مقاييس لتصور إمكان اللقاء بين راويين، وسماع أحدهما من الآخر، وبها يتم معرفة ابتداء طبقته[٢]، يقول السخاوي: "وكذا يتبين به - (أي بالتاريخ) - ما في الســـند من انقطاع، أو عضـــل، أو تدليس، أو إرســـال ظاهر، أو خفي، للوقوف به على أن الراوي مثلاً لم يعاصر من روى عنه، أو عاصره، ولكن لم يلقه، لكونه في غير بلده وهو لم يرحل إليها مع كونه ليست له منه إجازة أو نحوها"[٣].

٣- **أثر التـــاريخ في تمييز حـــديث المختلطين،** ومعرفـــة كون الروايـــة من طريق بعض المختلطين من قديم حديثه أو ضـــده[٤]، من أجل ذلك رأينا النقاد يتتبعون أحوال الراوي بشـــكل لا يكاد يعرف إلا عند أهل الحديث[٥]، و حكم حديث المختلط أنه يقبل ما حدّث به قبل الاختلاط، ويرد ما حدّث به بعد الاختلاط، وأما ما لم يتميز فيتوقف فيه، يقول الحافظ العراقي: "الحكم فيمن اختلط أن لا يقبل من حديثه ما حدّث به في حال الاختلاط، وكذا ما أبهم أمره وأشـــكل فلم ندرِ أحدث به قبل الاختلاط أو بعده، وما حدّث به قبل الاختلاط قُبِلَ، وإنما يتميز ذلك باعتبار الرواة عنهم فمنهم من ســـمع قبل الاختلاط فقط، ومنهم من ســـمع بعـده فقط، ومنهم من ســـمع في الحـالين ولم يتميز"[٦]. فللتـاريخ أثر كبير في تمييز حـديث المختلط، وذلك من خلال معرفة تاريخ اختلاطه، وتاريخ أخذ الراوي عنه.

---

(١) ينظر: علوم الحديث وعلاقتها بعلم التاريخ للكبيسي (ص: ١٧).

(٢) ينظر: علوم الحديث وعلاقتها بعلم التاريخ للكبيسي (ص: ٩).

(٣) ينظر: فتح المغيث للسخاوي (٣٠٩/٤).

(٤) ينظر: الإعلان بالتوبيخ للسخاوي (ص: ٣٨٦).

(٥) ينظر: نقد الحديث بالعرض عل الوقائع والمعلومات التاريخية للعكايلة (ص: ٥٨).

(٦) ينظر: شرح التبصرة والتذكرة للعراقي (٣٢٩/٢).

٤- **أثر التاريخ في معرفة ناسخ الحديث ومنسوخه:** وعلم ناسخ الحديث ومنسوخه من أهم علوم الحديث وأدقها وأصعبها، فلا يعرفه كلُ من رامه، ولا ينهض به إلا كبار العلماء، ولمعرفة ناسخ الحديث من منسوخه طرق يعرف بها، ومن أهمها: التاريخ الذي يكشف لنا أن هذا الحديث قبل ذلك الحديث أو بعده، وفي ذلك يقول الحافظ ابن حجر -رحمه الله: "ويعرف النسخ بأمور: أصرحها ما ورد في النص ... ومنها ما يجزم الصحابي بأنه متأخر ... ومنها ما يعرف بالتاريخ وهو كثير"(١).

ولهذا فإن العلماء قد اشترطوا لمن يتصدى لعلم الناسخ والمنسوخ أن يكون عالما بالتاريخ(٢)، وقد عبر الحازمي عن ذلك بقوله في شروط النسخ: "أن يكون التاريخ معلوما"(٣).

(١) ينظر: نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر لابن حجر (ص: ٩٦)، تحقيق: عبد الله الرحيلي، نشر: مطبعة سفير بالرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٢) ينظر: نقد الحديث بالعرض عل الوقائع والمعلومات التاريخية للعكايلة (ص: ٦٠، ٦١).

(٣) ينظر: الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار للحازمي، (ص: ٨)، نشر: دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد، الدكن، الطبعة الثانية ١٣٥٩ هـ.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، في نهاية بحثي هذا أشير إلى أهم نتائجه، ثم أذكر التوصيات التي أرجو أن ينفع الله بها.

النتائج:

أهم النتائج أجملها في النقاط الآتية:

١- أهمية الدراسات البينية باعتبارها أحد المحركات الرئيسة لتطوير المعارف العلمية بمساهمتها في تحفيز البحث العلمي والحد من الانعزالية والإغراق والانغلاق في التخصص.

٢- الوقوف على أهمية الدراسات البينية في تجويد علوم السنة، ظهر ذلك من خلال الأمثلة التطبيقية محل الدراسة في البحث.

٣- للدراسات البينية في السنة النبوية أثر بالغ في توسيع فهم النصوص، وتحقيق المقاصد الشرعية، ودعم التكامل في البحث العلمي، ودفع الشبهات وتصحيح المفاهيم.

٤- تبينت أهمية العلاقة البينية بين علمي السنة والتفسير في فهم القرآن الكريم ومعرفة أسباب النزول، وأثر الإسناد في التفسير بالمأثور، وأهميته في الناسخ والمنسوخ، وتنقيح كتب التفسير من الدخيل كالموضوعات والإسرائيليات.

٥- ظهرت أهمية العلاقة البينية بين علمي السنة والفقه تأثرا وتأثيرا، وتبينت العلاقة المتينة والترابط القوي بينهما، فعلم الفقه يقوم على الاستدلال بالنصوص، والحديث الشريف هو المصدر الثاني من مصادر التشريع، ولا يمكن استخراج الأحكام الشرعية إلا بالرجوع للأحاديث النبوية الصحيحة.

٦- برزت أهمية العلاقة البينية بين علمي السنة واللغة، فمصدر السنة النبوية خير وأفصح من نطق بالضاد -صلى الله عليه وسلم-، واللغة أصل من أصول الشريعة ومفتاح لعلومها، ووسيلة لفهم النصوص، وضبط الألفاظ، وبها تستنبط المعاني.

٧- تبينت أهمية العلاقة بين علمي السنة والتاريخ، فعلماء الحديث كان لهم الأثر الكبير في إرساء أصح وأرقى وأعلى قواعد الإثبات التاريخي، ولهم الأثر الكبير في تطور الدراسات

التاريخية، لا سيما نقد الروايات التاريخية، واعتمد علماء الحديث على التاريخ اعتمادا كبيرا في معرفة صحيح الأخبار من سقيمها، ومعرفة صدق الراوي من كذبه، وذلك عبر الاهتمام بمعرفة تواريخ الرواة ومواليدهم ووفياتهم.

التوصيات

توصي الدراسة بتوصيات، أهمها ما يلي:

١- ضرورة اهتمام المناهج الدراسية في الجامعات بربط المعارف ببعضها وربطها بالواقع، وأقترح أن تُدَرَّسَ مادة تكون مدخلا إلى الدراسات البينية.

٢- إنشاء مراكز بحثية تهتم بإجراء البحوث والدراسات البينية فيما يتعلق بتخصص السنة النبوية.

٣- تقديم دورات متخصصة تختص بالدراسات البينية للطلاب وأعضاء هيئة التدريس.

٤- تأسيس لجنة علمية من المهتمين وأصحاب الخبرة في الدراسات البينية من مختلف التخصصات لوضع الخطط المناسبة لتفعيل الدراسات البينية وتقديم الدعم للباحثين والأكاديميين المعتمين بالدراسات البينية.

٥- إفراد دراسة للعلاقة البينية بين الحديث وغيره من بقية العلوم -مما لم يرد في البحث-، وعلى سبيل المثال: العلاقة البينية بين علوم الحديث وأصول الفقه، ودراسة المسائل المشتركة بين العلمين فالعلاقة بين علوم الحديث وأصول الفقه، عميقة ومتشابكة، وكلاهما يخدم فهم الشريعة واستنباط الأحكام، فعلم الحديث يمكن الأصولي من التحقق من صحة الأدلة، وعلم أصول الفقه يمكن المحدث من فهم دلالة النصوص واستثمارها في استنباط الأحكام الشرعية.

٦- إفراد بحوث في بيان جهود المحدثين وإسهاماتهم في الدراسات البينية من خلال كتب شروح الحديث.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. أبجديات البحث في العلوم الشرعية للدكتور فريد الأنصاري، نشر: دار الفرقان، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، الدار البيضاء.

٢. اتجاهات أعضاء هيئة التدريس نحو الدراسات البينية في كلية التربية بجامعة السلطان قابوس، للعاني، بحث منشور في مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، المجلد السابع، العدد الثالث، ٢٠١٦م.

٣. الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

٤. إجازات السماع في المخطوطات القديمة لصلاح المنجد، بحث في مجلة المخطوطات الغربية، المجلد الأول مايو ١٩٥٥م.

٥. إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري للقسطلاني، نشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ

٦. أسباب نزول القرآن للواحدي، تحقيق: عصام عبد المحسن، نشر: دار الإصلاح بالدمام، الطبعة الثانية.

٧. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لمحمد أبو شهبة، نشر: مكتبة السنة، الطبعة الرابعة.

٨. الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار للحازمي، نشر: دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد، الدكن، الطبعة الثانية ١٣٥٩ هـ

٩. الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التوريخ للسخاوي.

١٠. الإمتاع الشعري عند المحدثين، وفيه بيان عناية المحدثين باللغة للدكتور: حاتم العوني.

١١. البحث التربوي بين التخصصات، دراسة ابستيمولوجية، لعدنان محمد أحمد قطيط، بحث منشور في مجلة البحث التربوي مجلد ١٧، العدد ٣٤، ٢٠١٨م.

١٢. بحث بعنوان: من هدي السنة النبوية في التعايش مع الآخر للدكتورة حنان الخشت، مدرس الحديث بكلية البنات بالأزهر / أسيوط، البحث منشور في مجلة الدراية (٤٠٩-٤٩٥).

١٣. بحث: مجالات تأثير علم الحديث في علم التفسير بالمأثور دراسة وصفية تحليلية للدكتور محمد الشرباني، منشور في مجلة الحديث بجامعة العلوم الإسلامية بماليزيا ٢٠٢١م.
١٤. بحوث في تاريخ السنة المشرفة، لأكرم العمري، نشر: بساط – بيروت، الطبعة الرابعة.
١٥. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: المكتبة العصرية - لبنان / صيدا.
١٦. تاريخ آداب العرب للرافعي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، سنة ٢٠٠٠.
١٧. تاريخ الفقه، إعداد: شركة إثراء المتون، بإشراف: عطاءات العلم، ١٤٤٤هـ، ٢٠٢٢م.
١٨. التداخلية في العلوم الإسلامية مقدمات أولية، شبكة ضياء للمؤتمرات، ومنهجية التكامل المعرفي لفتحي الملكاوي، المعهد العالي للفكر الإسلامي (٢٠١٢)م.
١٩. تزكية النفس في ضوء الكتاب والسنة، لماجد بن خنجر، مقال على الشبكة، ورابطه: https://www.alukah.net/social/٠/٣٣٢٨٧
٢٠. التفسير والمفسرون للدكتور محمد الذهبي، نشر: مكتبة وهبة، القاهرة.
٢١. التكامل المنهجي بين علم اللغة وعلوم الحديث، بحث في الخلفية الأنثروبيلوجية لتشكل الدرس اللغوي العربي، للباحثة: بوعافية جيلالي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر.
٢٢. جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط - التتمة تحقيق بشير عيون، نشر: مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، الطبعة الأولى.
٢٣. جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، نشر: الناشر: دار ابن الجوزي، بالمملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
٢٤. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي، تحقيق: د. محمود الطحان، نشر: مكتبة المعارف – الرياض.
٢٥. جدلية العلاقة بين الحديث والفقه في واقعنا المعاصر، الإشكالية وسبل العلاج للدكتور أسامة إبراهيم محمد، بحث منشور في مجلة الأزهر، دراسات في السنة النبوية صفر ١٤٤٣هـ، سبتمبر /أكتوبر ٢٠٢١م.
٢٦. الجرح والتعديل لإبراهيم اللاحم، طبعة مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الثالثة ١٤٣٩هـ، ٢٠١٨م.
٢٧. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، نشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن – الهند، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٢٧١ هـ ١٩٥٢ م.

٢٨. حاجة العلوم الإسلامية إلى اللغة العربية، دراسة تأصيلية تطبيقية، للدكتور حسن يشو، من إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م.
٢٩. الدراسات البينية وأثرها في تجويد العلوم الشرعية للدكتور إسماعيل غازي مرحبا.
٣٠. الرسالة للشافعي، تحقيق: أحمد شاكر، نشر: مكتبه الحلبي، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م.
٣١. سير أعلام النبلاء للذهبي ط: الرسالة، تحقيق: بإشراف شعيب الأرناؤوط الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ، في خمسة وعشرين جزءا.
٣٢. شرح التبصرة والتذكرة للعراقي تحقيق: عبد اللطيف الهميم - ماهر ياسين فحل، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
٣٣. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامه لابن فارس، نشر: محمد علي بيضون، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٣٤. صحيح البخاري، ط: دار طوق النجاة، تحقيق: محمد الناصر، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ في تسعة أجزاء.
٣٥. صحيح مسلم، طبعة: دار إحياء التراث العربي – بيروت، في خمسة أجزاء، بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
٣٦. علم الحديث وعلاقته بالتاريخ، للدكتور محمد الغامدي، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية في كلية الشريعة، جامعة أم القرى / ٢٠١٥.
٣٧. علوم الحديث وعلاقتها بعلم التاريخ للدكتور عبد العزيز الكبيسي، جامعة الإمارات العربية المتحدة.
٣٨. فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للسخاوي، تحقيق: علي حسين علي، نشر: مكتبة السنة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٣٩. قاعدة في المؤرخين، لتاج الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، نشر: دار البشائر – بيروت، الطبعة: الخامسة، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.
٤٠. كتاب السنة النبوية، مكانتها، وحجيتها، ونقض شبهات الطاعنين فيها، إعداد: مركز إحسان لدراسات السنة النبوية.
٤١. الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي، تحقيق: أبو عبد الله السورقي، وإبراهيم حمدي المدني، نشر: المكتبة العلمية - المدينة المنورة.

٤٢. لقاء علمي مسجل بكلية الحديث الشريف والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، من إلقاء الدكتور: محمد الحجيلي، رابط اللقاء: https://www.youtube.com/watch?v=DyQgwKzjvcs

٤٣. مأخذ العلم لابن فارس، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، نشر: دار البشائر الإسلامية، الطبعة: الثانية ١٤٢٦ هـ- ٢٠٠٥ م.

٤٤. مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، نشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

٤٥. مظاهر تأثير علم الحديث في علم التاريخ عند المسلمين، للدكتور بشار عواد معروف، بحث منشور في مجلة الأقلام، بغداد، الجزء الخامس، السنة الأولى، ١٣٨٤هـ-١٩٦٥م.

٤٦. معالم التكامل المعرفي عند المحدثين للدكتور عبد الكريم عكيوي، بحث منشور بمجلة الواضحة العدد ٦، (ص: ١٩٣-٢١٥) كلية الآداب، أكادير.

٤٧. معالم السنن شرح سنن أبي داود لأبي سليمان الخطابي، نشر: المطبعة العلمية – حلب١٣٥١هـ، ١٩٣٢م.

٤٨. معجم الشيوخ الكبير للذهبي (٢/٤٠)، تحقيق: الدكتور محمد الحبيب الهيلة، نشر: مكتبة الصديق، الطائف، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨ م.

٤٩. معجم علوم القرآن لإبراهيم الجرمي، نشر: دار القلم – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ- ٢٠٠١

٥٠. معجم مصطلحات العلوم الشرعية، لمجموعة من المؤلفين، نشر: وزارة الشؤون الإسلامية بالرياض، ومدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية ١٤٣٩هـ، ٢٠١٧م.

٥١. معرفة علوم الحديث للحاكم، تحقيق: السيد معظم حسين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.

٥٢. مقدمة ابن الصلاح، تحقيق: عبد اللطيف الهميم - ماهر ياسين الفحل، نشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢ م.

٥٣. نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر لابن حجر، تحقيق: عبد الله الرحيلي، نشر: مطبعة سفير بالرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٥٤. نقد الحديث بالعرض على الوقائع والمعلومات التاريخية للدكتور سلطان العكايلة، نشر: دار الفتح بالأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٥٥. النكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر، تحقيق: ربيع المدخلي، نشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

فهرس الموضوعات

المقدمة ١٢٨
أهمية البحث وأسباب اختياره: ١٢٩
حدود البحث: ١٢٩
إشكالية البحث وأسئلته: ١٢٩
الدراسات السابقة: ١٣٠
المبحث الأول الدراسات البينية (مفهومها، أقسامها وسماتها ١٣٢
المطلب الأول: مفهوم الدراسات البينية ١٣٣
المطلب الثاني: أقسامها، وسماتها ١٣٤
المطلب الثالث: أهمية الدراسات البينية المتعلقة بالسنة النبوية ... ١٣٥
المبحث الثاني علاقة السنة النبوية بغيرها من العلوم الشرعية ١٣٦
المطلب الأول: علاقة السنة النبوية بعلم التفسير ١٣٦
المطلب الثاني علاقة السنة النبوية بعلم الفقه ١٤٤
المبحث الثالث: علاقة السنة بغيرها من العلوم الإنسانية ١٥١
المطلب الأول: علاقة السنة النبوية بعلم اللغة ١٥١
المطلب الثاني: علاقة السنة النبوية بعلم التاريخ ١٦٢
الخاتمة ١٧١
المصادر والمراجع ١٧٣
فهرس الموضوعات ١٧٧